

هل يخلص غير المسيحي؟

نصٌ وتعليقات

٢٠٠٩

تقديم

يسر موقع الدراسات القبطية واللاهوتية أن يضع بين يـدي قـراءه خدمـة جديدة، ينشر من خلالها مشاركات القراء المتميزة على المقالات التي ينشرها الموقـع على مدونة المساحة الحرة، والتي يحاول من خلالها التواصل مع متصفحي الموقع، وذلك عرفاناً من الموقع بهذه المشاركات، وتقديراً منه لكُتَّابها. دون أن يعني هذا أن الموقـع يوافق بالضرورة على كل أو بعض ما جاء بهذه المشاركات، فقيمة الحوار في حد ذاتها تتفوق وتعلو على ما قد يكون بين الإخوة من اختلاف في الآراء.

وفي هذا الكتاب يضع الموقع بين يدي قراءه نصاً فخماً لسيادة المطران جورج خضر مطران جبيل والبترون بلبنان، يطرح فيه سؤالاً يتعرض لقضية هامة جداً، هـي قضية خلاص غير المسيحيين، ومدى اتفاق ذلك أو اختلافه مع الإيمان من وجهة نظر البعض.

وإذا كان النص المطروح للنقاش هو لأحد أعمدة الفكر واللاهوت العـرب الذين أثروا اللغة العربية باللاهوت، الأغنياء عن التعريف، فلم يبخل علينـا أصـدقاء الموقع بالتواصل، فأتحفنا الأخوة القراء، وخصوصاً الأخ مجدي داود بكم هائل رصين من التعليقات، احتوت كماً رائعاً من الأفكار الجميلة، بغض النظر عمـا إذا كانـت بالموافقة على المقال أو بالرفض.

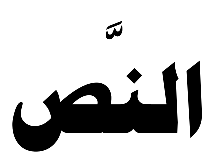
وكنا نوَدُ لو تضمن هذا الكتاب كل التعليقات التي وصلتنا، لولا أن الموضوع مازال مفتوحاً للتعليق من زوار الموقع، خصوصاً الجدد منهم، الأمر الذي دعا أسـرة الموقع إلى الاقتصار على نشر التعليق الذي تفضل به الأخ مجدي داود — مع تقـديرنا

الكامل لمشاركات القراء الإعزاء – باعتباره يشكل في مجمله موضوعاً متكاملاً، يكاد يكون مستقلاً، وإن كان يدور حول نفس فكرة مقال سيادة المطران جورج، لذا رأينا تعميماً للفائدة القصوى منه، وضعه تحت بصر القراء بهذا الشكل.

والموقع إذ يشكر للأخ مجدي داود موافقته على نشر تعليقاته في هذه الصورة، يرجو أن يكون قد رد بعض جميل قراءه الأعزاء، متمنياً للجميع بركة من ربنا يسوع المسيح الذي دعانا لهذه الخدمة المباركة.

أسرة الموقع

جدول المحتويات


النّص

هل يخلص "غير المسيحي"؟

المطران جورج خضر – جريدة النهار ٢٢/يونيو – حزيران /٢٠٠٢

يقضي تواضع المعرفة إلاَّ يُنصِّب أحدٌ نفسه دياناً، فالله وحده يدين القلـــوب. غير أن الكثيرين يحسبون أهم وكلاء على هذا السر العظيم، بدل أن يهتموا بخـــلاص أنفسهم هم. شرائح كثيرة تدَّعي أهنا تعرف الفرقة الناجية والفرقة الهالكة. وهذا أخذ حيزاً من الفكر في غير ديانة. ولعل الضلالة الكبرى في الأوساط المسيحية مصـــدرها هذا القديس العظيم أوغسطينوس الذي قال: ''خارج الكنيسة ليس مِن خـــلاص''. ولكن ما يشفع له أنه وضع هذه المقولة ضد هراطقةٍ ظهروا في إفريقيـــا في عصـــره، وكان حلمه أن يردهم إلي الإيمان القويم. والأصح من كلمته السلبية هـــذه أن نـــأتي بالتأكيد الإيجابي: ''الخلاص هو في الكنيسة''، بمعني أنه عطاء المسيح.

ما يشوِّش هذا البحث أن معظم المسيحيين الذين يطرحون هـــذا الســـؤال، يطرحونه على هذه الصورة: هل يصعد غير المسيحي إلي السماء؟ والسؤال الذي يرد عليهم هو ما السماء؟ في التصور الشعبي إن السماء هي فوق الفضاء، وتظهر بعد فناء العالم. ولكن ليس في كتبنا ما يؤكد أن هذا العالم يفني، وأننا تالياً سنسكن حيزاً فوق الفضاء، إذ ليس بعده إلاَّ الفضاء. ليس الله واقعاً في المدى، وإذا صرت أنت معه فـــلا يحدك مدي. والله ليس فوق، ولا تحت، أي ليس في مكان. والقضية كلـــها نوعيـــة وجود، وأن يكون وجهك القائم من بين الأموات أمام وجه الله الذي ليس له وجـــه مادي.

إلي هذا فالإسلام لا يستعمل كلمة سماء للتحدث عن حالة البشر بعد بعثهم، ولكنه يستخدم كلمة جنة، ومفهومها آخر، وهي حسية إلاَّ عند نفر قليل من المفسرين ولا سيما المتصوفة. وعلي المقلب الآخر، الهنود والصينيون لا يؤمنون بالسماء، واليهود ما آمنوا بها إلاَّ من بعد التلمود أي بعد المسيح بقرون. مبحث السماء إذن بات مبحثاً مسيحياً صرفاً. فالسؤال يصير إذاً: هل في سماء المسيحيين غير المسيحيين؟ جوابي الفوري إن إنجيل الدينونة لا يتكلم على المسيحيين، إذ يقول السيد: "كنت جائعاً فأطعمتموني ... رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم". ولا يدور إطلاقاً فيه حديث عن المؤمنين أو غير المؤمنين. ولكنه يدور حول العمل الصالح.

غير أن ثمة في العهد الجديد حديثاً آخر عن الدينونة. والقول الفصل هنا هو هذا: "مَن أخطأ بدون الناموس (أي شريعة موسي) فبدون الناموس يهلك. وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يدان". الأمم (أي الوثنيون) الذين ليس عندهم الناموس متي فعلوا بالطبيعة ما هو الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموسٌ لأنفسهم الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم (رومية ٢: ١٣ – ١٥). ومن المنطق أن ينقل هذا إلي الذين جاؤوا بعد المسيح، فيقال إن الذين تبعوه يدانون بإنجيله ومن لم يتبعوه يدانون حسب ضمائرهم.

يبقي طبعاً الكلام الشديد الوارد في مرقس: "مَن آمن واعتمد خلُص، ومن لم يؤمن يُدَن" (مر ١٦: ١٦). غير أن هذا الكلام على إطلاقه يجب أن يُفهم في إطار الجدل الذي قام بين السيد ويهود عصره الذين كان يُفترض فيهم أن يؤمنوا بالسيد انطلاقاً من كتبهم، وأبوا التسليم للحق الظاهر في يسوع الناصري. إلي ذلك يؤكد الكتاب أن "الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله" (رو ١١: ١٧)، أو "كيف يؤمنون إن لم يُبَشَّروا". فما من إيمان لم تسبقه بشارة. وما من مسئولية نكرانٍ لمسيحٍ بلا إخبارٍ

عنه. والواقع في الماضي أن الكثيرين لم يبلغهم الإنجيل، وأن أربعة مليارات من النـــاس اليوم لم يسمع معظمهم بالمسيح. وغير صحيح أن هذه المليارات اقتنعت به ورفضـــته عمداً. ثم ما قوة المبشر وقدرته على الإقناع؟ وإذا كان اليقين من نعمـــة ربـــك و لم تنـــزل – وهذا في سر الله وحده – فكيف تدان هذه الجحافل من البشر؟

إلي هذا مَن يقنعني أن ألوفاً مؤلفة من المدعوين مسيحيين هم أطهر من السيدة رابعة العدوية والحلاج أو المهاتما غاندي الذين دانوا بما دانوا به، وأن هـــؤلاء الأبـــرار الذين كانوا من خارج الكنيسة المنظورة معذَّبون في النار بما لم يخطئوا به؟ فالســـؤال الأعمق هو مَن هو الإنسان العضو في الكنيسة؟ هل الكنيسة هي مجموعـــة المعمَّـــدين حصراً أم هي جسد المسيح، بمعني امتداد جسد المسيح إلي حيث يريد أن يمتد؟ لقد قال القديس البيزنطي نيقولاوس كاباسيلاس: ''مَن لم تعمده الكنيسة (بالماء) يعمده عريس الكنيسة (بلا ماء)''. التنظيم الكنسي يربط المسيحيين، ولكنه لا يقيد المسيح نفســـه الذي يعمل بلا وسيلة محسوسةٍ.

إن اللغط الدائر حول موضوع الخلاص اعتقاد العامة أنه نيل السماء، والحقيقة أن الخلاص يكتسبه المرء نهائياً في الملكوت، ولكنه يبدأ هنا بمعرفة المسيح المخلِّص. إنه رؤية وحب ومراس. فإذا قلنا إن الخلاص بالمسيح لا نفكر أولاً بالذهاب إلي السماء، ولكن نفكر بالحياة في المسيح هنا. كل تأكيدات الكتاب أن يسوع يخلِّص البشر مـــن خطاياهم، وأن هذا يتم بمعرفتهم الإنجيل. ''لا أحد يأتي إلي الآب إلاَّ بي'' (يـــو ١٤: ٦). كذلك: ''إن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المســـيح'' (١ تسالونيكي ٥: ٩).

المسيحيون يعتقدون بوضوح أن الكمال الروحي يقتني بالمسيح، وأن ما أعلنه الله به هو إعلان نهائي عن الله، أي أنهم لا يرون المسيحية كشفاً مرحلياً عن الإلوهة أو كشفاً قابلاً للنسخ أو الزيادة أو النقصان أو التنقيح. وفي هذا المنطق يذهبون إلي أن الكلمة الإلهية قائمة بين سفر التكوين وسفر الرؤيا بحيث أنهم يقيسون حقيقة كل كلام آخر على الكتاب الذي بين أيديهم. وهذا ورد عندهم صراحةً في مطلع الرسالة إلي العبرانيين: ''الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواعٍ وطرقٍ كثيرةٍ كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه'' (عب ١: ١).

لذلك لا يرون أنفسهم مضطرين إلي أن يصدروا حكماً في ما يقال خارجاً عنهم. هذه هي المسيحية كما يراها أصحابها. غير أن هذا لا يحول دون تعظيمهم لكل حق وخير وجلال يقرأونه في الفكر الديني أو الفلسفي. وأما أن يقال إن الرسالة المسيحية نسبية وأن الأديان متساوية في العمق وفي الجوهر، فما من شك في أن هذا يناقض التراث المسيحي المعروف.

يبقي السؤال: هل يصعد أحد إلي السماء، هل يخلص نهائياً دون أن يمر بالمسيح؟ الجواب الأكيد في المنظور المسيحي أنه لا بد أن تمر به بطريقة ما. لقد قال المسيح: ''أنا الطريق والحق والحياة''. هذا يوجب البشارة، فإنها أمر إلهي في العهد الجديد. ولكنا رأينا أن المسيح له أن ينقذ من يشاء بمعمودية وبغير معمودية. بتعبير آخر عمل المسيح يتم بالكنيسة لمن رآها وانضم إليها، وقد يتم بانعطاف المسيح على من يشاء. وفي هذا ليس يسوع في حاجة إلي الكنيسة – المؤسسة لينقذ من يشاء. أي أن هناك إمكاناً عنده أن يبث روحه ورؤيته ومحبته على الكائنات البشرية أكانت منتظمة في دين أم غير منتظمة.

في هذه القراءة قد تكون أنت للمسيح بعلمٍ منه، لا بعلمٍ منك وتكـــون، إذ ذاك، قد أتيت به إلي الآب. وهذا لا يعرفه إلاَّ الآب. ولكن لا تخلُص نفسك في اليوم الأخير ما لم ترَ الرؤية التي يكون المسيح قد سكبها في نفسك. وبتعبير أبسط تكـــون مسيحياً في السماء وغير مسيحي في الأرض.

هذا يلتقي ورأي القديس غريغوريوس النيصي إن الشر لا يمكن أن يثبُت أمام الله إلي الأبد، وإن الله سيزيل الجحيم. وهذا يلتقي والفكر الصريح عند القديس اسحق السرياني الذي صلَّي لخلاص الشيطان. إن الكنيسة لم تكفِّر هذين القديسين و لم ترفض رأيهما. هذا ليس عند المسيحيين عقيدةً، ولكنه موضوع رجاء. المسيحية لا تنـــاقش الأديان الأخرى. تبحث في الأشخاص وتتمني خلاصهم بالطريقة الـــتي يعرفهـــا الله وحده.

التعليقات

مقدمة

في ضوء اللاهوت الشعبي السائد تبدو عبارة (لا خلاص خارج الكنيسة)، مقولة حق يراد بها باطل. المسألة الرئيسة هي في تعريف مصطلح (الكنيسة). والآن أسوق إليكم أيها الأحباء هذا التعريف، الذي أعتقد بشدة بأنه صادم جداً لميراث عنصريتنا، ولكنني على استعداد، بنعمة الرب، إن راق لكم ذلك، أن أجتاز معكم رحلة طويلة من التوثيق الكتابي لهذا المفهوم. الكنيسة ليست بنيانا بسيطا، من نسيج واحد(كما نتخيل)، ولكنها بناء مركب تصنعه وتحققه ثلاثة روافد مختلفة.أحد هذه الروافد هو رافدنا نحن؛ أي رافد الكرازة الرسولية، رافد الذين قبلوا الإنجيل، رافد الوعي الذاتي بالكنيسة، رافد الذين يؤمنون بأنهم كنيسة وبأنهم في المسيح. ولكن الحقيقة الغائبة عن أذهاننا (وهذا أمر منطقي) هي أن هناك رافدين آخرين يمثلان ثلثي الكنيسة: رافد القدماء الذين رأوا المواعيد من بعيد وامنوا بها،وهؤلاء هم الذين أحضرهم الله بيسوع أيضاً معه (حسب تعبير بولس الرسول)، هم قاطني الجحيم الذين حررهم الكلمة المتجسد آتيا بهم ليكونوا أول رافد –من روافد الكنيسة – يتم تموقعه في جسد المسيح. أما الرافد الثاني – الذي يغيب عن وعينا فهو رافد الجهالة، وهذا هو ما يعنيه المفهوم المطلق لمصطلح (الأمم)، هؤلاء لم يسمعوا بالإنجيل ولم يقبلوه على مستوي الوعي في هذه الحياة، ولكن منهم يقيم الرب في اليوم الأخير رافداً يغيظ به كثيرين كانوا قد ظنوا أنهم قد احتكروا المسيح. دمتم في المسيح.

اسمحوا لي الآن أن أبدأ رحلة التوثيق الكتابي للمفهوم الشامل والواسع للكنيسة، ذلك المفهوم الذي يتخطي أي نظرة عنصرية؛ مفترضاً أن للكنيسة بعداً كونيا إنسانيا فحواه أن المسيح هو محور الكون ومنتجه الوحيد وهو الذي يصبغ

الجميع بصبغته،غير محتاج لأي فئة أن تحتكره، بل هو – وفي مسار رحلة الكــون – يخترق كل شيء من أجل أن يحقق كنيسته التي هي جسده المستوعب للجميع. وأبدأ هذه الرحلة باعتراف واجب، وهو أنه لا يوجد في الكتاب دليل وحيد دامغ في هــذا السياق، وهذا الاعتراف سوف يتم تفهمه وتقبله تدريجيا مع مسار البحــث، ولكــن نستطيع – لكي تطمئن قلوبنا – أن نستعير لغة الفقه القانوني فنقول بأن تراكم القرائن يصنع دليلا دامغاً.

المقالة الأولي

فريقا المؤمنين بالمسيح

الاقتباس الأول: الإصحاح العاشر من إنجيل يوحنا، وتحديداً:

(ولي خراف آخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراع واحد. / يو ١٠: ١٦).

التعليق: المقصود من تعبير (هذه الحظيرة) هو "إسرائيل الجديد" أي كنيسة العهد الجديد التي قبلت المسيح عن وعي. حتى أن سياق حديث يسوع لا يمكن بأي حال أن يكون متضمنا الإشارة إلى "إسرائيل التاريخي"؛ فالحديث كله موجه للفريسيين في مناخ غاضب وعاصف؛ يدينهم فيه يسوع ويصفهم بالعميان وذلك عقب معجزة شفاء المولود أعمى ويتطور الموقف إلى حد أنهم قد هموا برجمه وينتهي الإصحاح برغبتهم بالإمساك به أما هو فقد واجههم بالحقيقة: (لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي./ يو١٠: ٢٦).

- الحظيرة هي مأوي الخراف ومكان مبيتها، وكنيسة العهد الجديد - التي قبلت بشارة الإنجيل - هي المشار إليها في (هذه الحظيرة)؛ فهي التي قبلت المسيح هنا في "ليل العالم". أما، خارجا، فهناك كثير من الخراف الضالة، التي بلا مأوي وليست لها (حظيرة)، هي مشتتة، تائهة في الزمان والمكان والمعتقدات وينبغي للراعي الصالح أن يخترق كل هذه العوائق ليأتي بها فتكون رعية واحدة وراع واحد.

– انتماء الخراف الحقيقي هو– في النهاية – إلى الراعي الصالح وليس إلى الحظيرة. وهنا لنا ملحوظة هامة جدا؛ فقد وردت عبارة (رعية واحدة وراع واحد) – في الأصل اليوناني – بدون أداة عطف، وهكذا، نستطيع أن نؤمن بأن الراعي الصالح (المسيح) يتجاوز– بصلاحه – التقوقع داخل (هذه الحظيرة)؛ ذلك لأنه في النهاية سيكون الجميع رعية واحدة يرعاها في داخل ذاته، وليس فقط في داخل (هذه الحظيرة).

الاقتباس الثاني: الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا:

يصلي يسوع طالبا من أجل فريقين من المؤمنين به. الفريق الأول: "لأن الكلام (ta remata) الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقينا أني خرجت من عندك، وامنوا أنك أنت أرسلتني. من أجلهم أنا أسأ ل". (يو ١٧ :٨ و ٩)
الفريق الثاني: "ولست أسأ ل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بواسطة كلمتهم (dia tou logou autwn)" (يو١٧: ٢٠).

التعليق رقم (١):

في لاهوت إنجيل يوحنا يتجلي شخص الكلمة بطريقة متفردة عن سائر الكتاب، وتأتي لفظة "الكلمة" – في صيغتها المفردة المعرفة – لتعلن غاية بشارة الإنجيل إلاَّ وهي الشركة في شخص الكلمة، الابن الذاتي. وللأسف الشديد لم تلتزم الترجمة العربية بالدقة في ترجمة هذه اللفظة وعوضاً عن صيغة المفرد– الواردة عليها في الأصل اليوناني – تمت ترجمتها في صيغة الجمع، فضاع المعني العميق للنص، وخير دليل على ذلك هو ترجمة العبارة الثانية من الاقتباس الذي نحن بصدده الآن. وأري أنه من الأفضل الرجوع لبعض الأمثلة الأخرى للتأكد من هذه القضية، واليكم بعض

الشـــواهد: (٢: ٢٢)،(٥: ٢٤)، (٥: ٣٨)، (٨: ٥١، ٣٧، ٣١، ٥٢)، (١٢: ٤٨)، (١٤: ٢٣، ٢٤)، (١٥: ٣، ٢٠)، (١٧: ٦، ١٤، ١٧).

التعليق رقم (٢):

هناك مفردتان – في يونانية العهد الجديد– تترجمان إلى معني "الكلمة" وهما: ("reema" = الريما)، و ("logos" = اللوغوس). وعندما يريد الكتاب أن يعبر عـــن "كلمة" الإنجيل– (كلام الله الذي كتبه أناس الله مسوقين من الروح القدس) –فانـــه يستخدم مفردة "الريما"، وأما عندما يريد التعبير عن شخص الكلمة (الابن الوحيـــد)، فانه يستخدم لفظة "اللوغوس" في صيغتها المفردة المعرفة.

التعليق رقم (٣):

رافد الكنيسة – الذي قبل الإنجيل وامن عن طريق كرازة الرسل – هو الذي قبل "الريما"، ولكنه مدعو لأن يتكمل إيمانه بالشركة في "اللوغوس"، تلـــك الشـــركة الأبدية التي لا تنحل، في المسيح. كما في (مولودين ثانية، لا من زرع يفني، بل ممـــا لا يفني، بكلمة (لوغوس) الله الحية الباقية إلى الأبد. لأن: "كل جسد كعشب، وكل مجد إنسان كزهر عشب. العشب يبس وزهره سقط وأما كلمة (الريما) الرب فتثبـــت إلى الأبد". وهذه هي الكلمة (الريما) التي بشرتم بها. / ١ بط ١: ٢٣ – ٢٥). وأيضاً كما في "الكلمة (الريما) قريبة منك، في فمك وفي قلبك" أي كلمة (الريما) الإيمان التي نكرز بها ٠(رو ١٠: ٨). وأيضاً في (إذا الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة (ريما) الله ....إلى جميع الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة أقـــوالهم (ta remata) / رو ١٠: ١٧ و ١٨).

التعليق رقم (٤):

شخص الكلمة حال في كل الكون وهو حامل لكل الخليقة.و حضور الكلمة في الخليقة يتباين كميا ويبلغ ذلك الحضور قمته في الإنسان – أي إنسان – مقارنة بباقي المخلوقات، ولكن في الرب يسوع (التاريخي) قد بلغ حضور الكلمة (اللوغوس) في الإنسان قمة من المستحيل تخطيها؛ إذ فيه (في يسوع) قد حل ملء اللاهوت. وعليه فإننا في ضوء هذه الرؤية البانورامية – لمفهوم حضور الكلمة (اللوغوس) – في الخليقة، نستطيع أن ندرك ما تعنيه عبارة (الذين يؤمنون بي بواسطة كلمتهم (اللوغوس الذي لهم). نستطيع أن ندرك أن هؤلاء لم تصلهم كلمة الله (الريما)، لم يصلهم المد الحي الذي للكرازة الرسولية، ولكنهم بفضل الكلمة الحاضر فيهم – الذي هيأهم لذلك بتدبير غير متاح لنا الآن أن ندركه – تجاوزوا دعوة (الريما) ليشتركوا في شخص اللوغوس دون وعي منهم (كوعينا نحن). ويجب هنا أن نؤكد على حقيقة محورية مفادها أن هذا الفريق لم ينطلق في رحلته الإيمانية – الخاصة به – إلاَّ من لحظة التجسد، حيث نبع النعمة الذي ترتوي منه كل روافد الكنيسة.

الخلاصة:

المؤمنون بالمسيح فريقان: فريق قبل "الكلمة المكتوبة" وانطلق من إيمانه بها مستهدفا الشركة في "الكلمة الشخص"، وفريق آخر اشترك في "الكلمة الشخص" متجاوزا "الكلمة المكتوبة" بفضل الكلمة الحاضر فيه.

المقالة الثانية

الانتماء إلى المسيح

أولا: مقدمة هامة:

١- مفهوم الانتماء إلى المسيح:

للانتماء - إلى المسيح - مفهوم ومضمون مختلف، لا يعرفه البشر، مقارنة بذلك المفهوم الذي لديهم. فالانتماء إلى المسيح ليس انتماء "من الخارج"؛ بمعني أنه ليس كأي انتماء "إلى فكرة معينة" - يتم الاقتناع بها - أو "إلى شخص" تاريخي تلتصق به الأذهان والأفئدة (من الخارج)، ولكنه انتماء إلى الداخل، أي "انتماء إلى داخل الشخص ذاته". والحقيقة أن العالم لم يعرف مثل هذا النوع من الانتماء؛ فلم يعرف العالم فكرة معينة قد تم التماهي والتوحد معها إلى درجة الدخول فيها كجزء منها. ولم يعرف العالم شخصا تاريخيا انتمي إليه نفر لدرجة أنهم صاروا مستوعبين داخله،كأجزاء منه، ولكن المسيح هو هكذا. المسيح ليس مجرد شخص تاريخي - تنتمي إليه الكنيسة فكريا أو عقائديا، بل انه شخص يحتوي الكنيسة؛ فهي جسده الخاص، وبدون هذا الانتماء يبقي المسيح مجرد رأس لكيان فارغ!!!. وهكذا يتكمل ويمتلئ المسيح بانتماء الكنيسة إليه، ويذكرنا ذلك، بالإلحاح - والتأكيد المستمر والمستميت للرسول بولس - على مصطلح (في المسيح) كتعبير عن كيان الكنيسة، التي بدورها ليس لها وجود، خارجا عن هذا الاسم.

الاسم (المسيح) هو الشخص، والانتماء إلى الاسم هو انتماء إلى الشخص، بالدخول والتموقع فيه. وفي احتفالية الشعانين تتعالي صيحات الخلاص التي تعلن مجيئ مملكة داود(الكنيسة)، كمحتوي ومضمون للاسم (اسم الرب): مبارك الاتي في اسم الرب (بحسب النص اليوناني)، مباركة مملكة أبينا داود الآتية.(مر ١١: ٩ و ١٠).

٢- آلية الانتماء إلى المسيح:

فعل الانتماء المسيحي وديناميكيته ليس فعلا بشريا؛ فالحق الإلهي يعلمنا أن الكلمة صار جسدا، أي أن الكلمة هو الذي انتمي إلى البشر، حتى أنه صار "ابن الإنسان". فاتجاه حركة الانتماء هو اتجاه نازل وليس اتجاها صاعدا. هو الذي انتمي إلينا أولاً فصرنا منتمين إليه، فيه. انتماء الكلمة إلى الإنسان هو "الفعل" بينما انتماء الإنسان إلى الكلمة هو "رد الفعل". وبالتأكيد، إن للمفهوم طبيعة مزدوجة؛ فالكلمة حينما صار جسدا، تأله البشر فيه، صائرين شركاء في الحياة الأبدية – التي له – وهذا هو مفهوم "النعمة"، ولكن تبقي الحقيقة المؤكدة، أن حدث الانتماء – بفعله ومساره – هو في الاتجاه "النازل"، بتجسد الكلمة؛ فشخص "الابن" هو المُعطي (بضم الميم) إلى العالم – هذا هو الانتماء (كفعل) – وفيه قد صعد البشر إلى الآب، منتمين إليه، وهذا هو الانتماء (كرد فعل).

إذن، حدث الانتماء هو الاختراق الذي صنعه الكلمة بتجسده، مهيئا لنفسه جسداً من البشر، جاعلا إياه رأسا لكيان وجودهم الجديد، ومن هذه الرأس (الرب يسوع المسيح) ينطلق مسار حركة الانتماء – بقدرته الذاتية وإرادته التي تخترق الكل – لجذب كل الأعضاء، حتى ما يكتمل كيان المسيح، الممتلئ بكنيسته، وحتي ما يكتمل مجيء "ابن الإنسان".

٣- سؤال الانتماء:

بناء على هذا المفهوم، هل يجوز لنا أن نعتقد بأن الانتماء إلى المسيح، من الممكن أن يحتكره نمط معين من "رد الفعل" (كقبول رافد معين - من الكنيسة - بالحقيقة الإنجيلية وتصديقها) بينما يبقي الذين هم خارج هذه المنظومة، في إقصاء وأبعاد عن هذا الانتماء؟. وبمعني آخر: إذا كان حدث الانتماء (إلى المسيح) هو فعل خارج عن قدرة البشر ولا يحدث - للذين صارت إليهم بشارة الإنجيل - إلاَّ في إطار مسار النعمة - المنطلقة من الكلمة المتجسد - فهل يعني، ذلك "عجز الكلمة" على أن يحقق هذا الانتماء في الآخرين الذين لم يتح لهم القيام برد الفعل، هذا؟!. وبمعني ثالث: هل يحتكر (بضم الياء) "الفعل" بواسطة "رد الفعل"؟.

نحن من المستحيل أن نختزل "رد الفعل" الممكن، في مجرد رد فعلنا نحن "أبناء الكرازة الرسولية"؛ فهذا يصبغ الكلمة المتجسد بالعجز ويجعله حكرا لتصوراتنا، بينما أنه من المفترض أن الكلمة المتجسد قادر على أن يحقق انتماءه - إلى البشر - بطرق شتي، من ضمنها طريقنا، نحن، الذين قبلنا كلمة الإنجيل ودعينا للشركة في الكلمة (الشخص).

إذن: الانتماء إلى المسيح هو حركة النعمة المنطلقة من الكلمة المتجسد نحو تحقيق وجود الكنيسة. والرب يسوع المسيح - وفي مسار هذه الحركة - يتخطي ويتجاوز مستوي "وعي" الكنيسة بذاتها (ككنيسة)؛ وذلك لأن الكنيسة - أثناء رحلتها في هذا العالم، نحو الانتماء إلى المسيح - إنما، فعليا تنتمي إلى "ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر". لذلك فالكنيسة لا يمكن أن تعي وتدرك ذاتها - كاملا - في هذا العالم. وان كان قد أتيح لرافد من روافد الكنيسة أن يتمتع بقليل من " الوعي" بذاته (ككنيسة)، فالرب يسوع المسيح - القادر على تجاوز

"القليل" – في ذلك الرافد – نحو الكل، "فيه"، هو قادر،أيضاً على تجاوز "العدم" – في خارج ذلك الرافد – نحو الكل "فيه" أيضا.

ثانياً: نص كتابي، عجيب: الإصحاح العاشر من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية:

التعليق

١– إسرائيل الجديد:

كمنطلق أساسي، نقول: إن لكل الكتاب – بكلماته وبشخوصه وبأحداثه التاريخية – بنية رمزية، لا تستهدف إلاَّ شخص "المسيح" المستوعب للكنيسة، وعليه نقول: إن إسرائيل "القديم" لم يكن إلاَّ رمزا للكنيسة، وإذ كان– قديما – قد اختير هذا الشعب ليستعلن له الله ذاته، من خلال الناموس والوصايا، فكنيسة العهد الجديد هي الشعب المختار ليستعلن له الله ذاته، في " ناموس المسيح"، وذلك حينما يقبلون دعوة كرازة الإنجيل، فينطلقون نحو تحقيق كيان وجودهم داخل " جسد المسيح". لذلك فانه – فقط – في المسيح تتجلي الصورة الحقيقية للوصية، وفيه –فقط "تتجلي الرؤية الحقيقية للناموس". لذلك فان الرسول بولس – في هذا الإصحاح يقدم "إسرائيل" في مفهومه الحقيقي، أي "كنيسة العهد الجديد"، الكائنة في المسيح، الكنيسة التي لها ناموس، مضمونه هو المسيح: "لأن غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن". (رو: ١٠: ٤).

إسرائيل الجديد (كنيسة العهد الجديد) هو المنوط بتأويل واستعلان الخطاب القديم – الوارد في (تث: ٣٠: ١١ – ١٤)، وفي ذلك، يقوم الرسول بولس بتقديم الخطاب، في بؤرة تجليه فيقول: "وأما البر الذي بالإيمان" فيقول هكذا: "لا تقل في

قلبك: من يصعد إلى السماء؟ أي ليحدر المسيح، أو: من يهبط إلى الهاوية؟ أي ليصعد المسيح من الأموات لكن ماذا يقول؟ الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها: لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت". (رو ١٠: ٦ – ٩).

وهكذا يقدم الرسول بولس، "إسرائيل الجديد"، كمستهدف من الكرازة، بكلمة الإنجيل: الكلمة (الريما) قريبة منك، كلمة (الريما) الإيمان التي نكرز بها.

إسرائيل الجديد، هو المنوط بالعلم والوعي بحقيقة ذاته، وهو ذلك الرافد (من الكنيسة) الذي وصلت إليه الكرازة في كل الأرض (لكنني أقول: ألعلهم لم يسمعوا؟ بلي! "إلى جميع الأرض خرج صوتهم، والي أقاصي المسكونة أقوالهم". لكنني أقول: ألعل إسرائيل لم يعلم؟ أولاً موسي يقول: "أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أغيظكم". ثم يتجاسر اشعياء ويقول: "وجدت من الذين لم يطلبوني، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني". أما من جهة إسرائيل فيقول: "طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم". (رو ١٠: ١٨ – ٢١)

ونستطيع أن نقول: إن هناك رافدا، من روافد الكنيسة (جسد المسيح)، هو ذلك الذي يضم الذين استثمرت فيهم دعوة الكرازة، بالنعمة، وتحقق فيهم الإنجيل فصاروا شركاء في الكلمة المتجسد، وأما أولئك الذين لم تستثمر فيهم دعوة الكرازة – ورفضوا أن يحيوا الإنجيل بحق، فهم "الشعب المعاند والمقاوم". والآن يحق لنا السؤال: ماهو الموقع الجديد لمصطلح "الأمم"، من خلال هذا المنظور؟. من هم، أولئك الذين يشير إليهم الرسول، بأنهم ليسوا أمة، وبأنهم أمة غبية، سيغيظ بها الذين رفضوا دعوة الإنجيل، وبأنهم لم يطلبوه و لم يسألوا عنه وبالرغم من ذلك كان لهم نصيب في الكنيسة؟!.

٢- القضية المحورية، أمام "إسرائيل الجديد":

هي تحقق وجود شخص المسيح، الممتلئ بكنيسته، وأمـا إسـرائيل الجديـد فمدعو إلى أن يصير أحد روافد هذه الكنيسة، وذلك بقبوله وباعترافه بكلمة الإنجيل، ثم بأن يحياها في قلبه فتثمر لحساب المسيح (ارجع إلى رو ١٠: ٦ - ٩).

٣- القاعدة الكتابية، الحاكمة: "كل من يدعو باسم الرب يخلص" (رو **١٠: ١٣**).

اسمحوا لي أولاً بهذه المداخلة اللغوية: الفعل المترجم - بطريق خاطئـة - إلى "يدعو"، هو الفعل اليوناني : "epikalew"، ومعناه إعطاء اسم أو إعطاء لقب، كمـا في: "الاسم الحسن الذي دعي به عليكم" (يع ٢: ٧)، ولا يحمل هذا الفعل أي معـني يفيد توجيه الدعوة (invitation)؛ فالفعل اليوناني الذي يفيد ذلك، هـو: "kalew"، وهناك اختلاف كبير بين الفعلين، لمجرد وجود حرف الجر "epi".

إذن، الترجمة الصحيحة للعبارة هي: "كل من يُدْعي (بضم اليـاء وتسـكين الدال) باسم الرب يخلص". أي كل من ينتمي إلى "داخل" اسم الرب يخلص. ها قـد عدنا ثانية إلى لاهوت "الإسم"، (إن جاز التعبير).

٤- الإشكالية، والمعضلة الكبرى التي يعالجها الرسول هي:

ليس جميع من ينتمون إلى اسم الرب (الكنيسة)، قد انتموا - في هذا العالم إلى الإنجيل (لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. رو ١٠: ١٦). ولابد أن نلاحـظ، أن مضمون كلمة "الجميع" هنا هو نفس المضمون في العبارات السابقة، في نفس السياق، حيث يقول: "لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً" للجميـع "مغنيـاً

"لجميع" الذين يُدْعون (بضم الياء وتسكين الدال) به. لأن كل من يدعي باسم الرب يخلص" (رو ١٠: ١٢ و ١٣)

وهنا يأخذنا الرسول بولس، في سؤال عجيب ومدهش - يكشف قصور قدرتنا على تصور "خلاص" الآخر- غير المؤمن(مثلنا) - وعلي تصور وجوده معنا، في الرب: "فكيف يُدْعون (بضم الياء وتسكين الدال) بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون إن لم يرسلوا؟" (رو ١٠ :١٤ و ١٥). إذن، هناك رافد في الكنيسة، يتم تحقق وجوده خارج نطاق الكرازة وخارج نطاق دعوة الإنجيل، تماماً. وها هو. الرسول بولس قد سجل - إلى الأبد - دهشتنا من ذلك الأمر في سؤاله المتسلسل العجيب!.

٥- إطاعة الإنجيل:

الطاعة، الواردة في: "ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل"، هي طاعة الخضوع، والفعل اليوناني المستخدم هنا، قد استخدم، مثلا للتعبير عن: طاعة الريح ليسوع (مت ٨: ٢٧)، طاعة الأرواح النجسة ليسوع (مر ١: ٢٧)، طاعة العبيد لسادهم (أف ٦: ٥). ولا يحمل الفعل، هنا أي معني للاقتناع أو القبول، وبالتالي فالرسول يتحدث عن شريحة، في الكنيسة لم تنضو تحت لواء الإنجيل - في هذا العالم - وهي لم ترفضه، لأنه لم يعرض عليها من الأصل. بينما الفعل الآخر الذي يعني "عدم القبول"، هو ما استخدمه الرسول في التعبير عن الشعب "المعاند".

الخلاصة:

الانتماء إلى المسيح هو الكينونة في المسيح، هكذا يتحقق وجود الكنيسة. المؤمنون بواسطة الكرازة الرسولية (إسرائيل الجديد) مدعوون لأن يصيروا أحد روافد الكنيسة، ولكن، خارجا عن إطار الكرازة، يوجد "الأمم" (بالمفهوم المطلق، غير

التاريخي)، أولئك الذين لم تصلهم الكرازة، (واقعيا) لغربتهم في ملابسـات لا يمكـن تخطيها. من هؤلاء،يستطيع الرب يسوع المسيح أن يهيئ رافداً من روافد الكنيسـة، دون حاجة إلى رسول أو كارز. فقط، استحقاق الكلمة المتجسد، يستطيع أن يـأتي برافد "جاهل بقضية ذاته"، ليغيظ به المعاندين من أبناء إسرائيل الجديد (أبناء الكـرازة الرسولية).

المقالة الثالثة

الحكم على الآخر

أولاً: مقدمة هامة:

١- مفهوم الدينونة:

الدينونة، أو الحكم بالإدانة هي حالة "الكشف" و "التعرية" لاختراق قانوني، يستوجب الوقوع تحت طائلة القانون.

- ما نحن بصدده هو قانون الحياة والوجود، المستعلن في ناموس (قانون) المسيح، كقول الرسول بولس: "تمموا ناموس المسيح". (غل ٦: ٢).

- الحياة الأبدية - المعطاة للبشر في شخص الكلمة المتجسد - هي فحوي ومضمون "القانون"، وعدم الإيمان بالمسيح، ورفضه سوف يفتضح، باستمرار حالة الموت، وعدم الخلاص منها. "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يري حياة بل يمكث عليه غضب الله".(يو ٣: ٣٦). إذن، الدينونة هي حالة سلبية، تعني تحصيلا حاصلا لعدم قبول الدخول - ايجابيا - إلى مظلة "قانون" الحياة، أي "شخص المسيح". وبالتالي فان التمايز "الصارخ" - بين الحياة والموت، بين هؤلاء الذين في المسيح، وأولئك الذين خارجه - هو في حد ذاته، حدث النطق بحكم الدينونة على الذين ليسوا في المسيح. "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين (بالفعل)، لأنه لم

يؤمن باسم ابن الله الوحيد. (عودة إلى لاهوت "الاسم") وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شـــريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور، لكي تظهر أعماله بالله معمولة". (يو ٣: ١٧ – ٢١).

٢– القانون الذي يحتكم إليه، بالدينونة:

المرجعية القانونية، التي نحن بصددها، ليست هي الناموس (القانون) – بمفهومه العتيق – بل هي شخص المسيح، الذي هو، غاية الناموس. الخروج عن "القانون" هو الخروج عن "شخص المسيح". وليس لدينا أوضح من القاعدة الكتابية، التي يســجلها الرسول بولس: "لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع". (رو ٨: ١).

٣– أهلية الحكم، بالدينونة:

لكي يكون القاضي، قاضيا حقيقيا، لابد أن يكون مدركا لحــدود وأطــر القانون، أي لابد له أن يكون مدركا لشروحات وفحوى تفاصيل القــانون. هــذا الإدراك يؤهله للحكم بالخروج عن القانون – إذا كان هناك خروج عن القــانون في القضية المعروضة عليه – وبالتالي يستطيع، وهو مرتاح الضمير، أن يحكم بالإدانة. وأما عن القضية – التي نحن بصددها – فالقانون ليس مجرد "نص"، يحتكم إليه، بــل هــو شخص يتجاوز الزمان والمكان (شخص المسيح). حقا، أننا– نحن المسيحيين – نمتلك تصوراتنا عن القانون (شخص المسيح)، ولكننا، بالفعل لن نتجاسر على القول بأننــا نتماهى مع القانون ولا نتجاسر على القول بأننا نمتلك حدود القانون وأطره، وبالتالي لا نتجاسر على القول، بأننا نستطيع أن نحكم – على أحد بالخروج عن القانون. إننا الآن – في هذا العالم — لا نتجاسر على القول بأننا قضاة!. نحن المسيحيون مـــدعوون

لأن نصير" قضاة"، ولكن ليس في هذا العالم، بل حينما نتكمل، (في المسيح). فقط،حينما نخرج من هذا العالم – ونصير أعضاء فيه – نستطيع أن ندين العالم، لأن" القديسين سيدينون العالم" (١ كو ٦: ٢).

– إن تصوراتنا عن القانون ليست هي القانون، ما لم نكن نمتلك نص القانون وفحواه وحدوده. وفي قضيتنا، هذه، نحن لا نحتكم إلى نص قانوني، بل إلى شخص يستوعبنا. بالتأكيد نحن لدينا "نص إلهي" مكتوب، ولكن ليس القانون هو مجرد "تصوراتنا" عن فحوي هذا النص، بل هو الشخص الذي يستعلنه هذا النص، وستظل علاقتنا بهذا النص مجرد خبرات خاصة بنا، تتنامى بالنعمة إلى الحد الذي يترجم فيه – النص – إلى حياة أبدية، في شخص المسيح، وحينئذ فقط نستطيع القول بأننا قد استوعبنا فحوي "النص الإلهي"، حينئذ فقط نستطيع القول بأننا استوعبنا "القانون"، حينئذ فقط نستطيع القول بأننا مؤهلون للحكم بدينونة الآخر، غير المنتمي إلينا (في المسيح).

ثانياً: نص كتابي:

١– من الإنجيل، بحسب "متى": "لا تدينوا لكي لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ أم كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القذى من عينك، وها الخشبة في عينك؟ يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك! لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم". (مت ٧: ١ – ٦).

٢- من الإنجيل، بحسب "لوقا": "ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يقضي عليكم. اغفروا يغفر لكم. أعطوا تعطوا، كيلا ملبداً مهزوزا فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم".

وضرب لهم مثلا: "هل يقدر أعمى أن يقود أعمي؟ أما يسقط الاثنان في حفرة؟ ليس التلميذ أفضل من معلمه، بل كل من صار كاملا يكون مثل معلمه. لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك: يا أخي، دعني أخرج القذى الذي عينك، وأنت لا تنظر الخشبة التي عينك؟ يا مرائي! أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك". (لو ٦: ٣٧ - ٤٢).

التعليق:

١- لا تدينوا:

يا إسرائيل "الجديد"، ليس لك أن تدين "الآخر"، كما كان يفعل إسرائيل "القديم". ليس لك أن تحكم عليه بالموت؛ ففي وسط هذه المساحة المجهولة - التي هي خارج حظيرتك - يوجد إخوة لك (في المسيح)، أنت تجهلهم، وتستنكر عليهم أنهم ينتمون إلى الكنيسة، وهم، أيضاً يجهلون حقيقة أنفسهم ككنيسة.

٢- الخشبة والقذى:

يا إسرائيل "الجديد"، قد يكون لك بعض الوعي بذاتك (ككنيسة)، بفضل قبولك لبشارة الإنجيل، ولكن هذا القدر النسبي من الوعي لا يعطيك تمايزا، على الآخر- "المجهول لك ولنفسه". انك تظن أنك مبصر وتري حقيقة المسيح جيداً، بخلاف الآخر، الأعمى (من وجهة نظرك)، ولكن حقيقة الأمر هي أن كليكما

أعميان!، "ولا يقدر أعمى أن يقود أعمى". إن كان هناك تمايز نسبي، فهو تمايز الآخر عنك!؛ فالآخر – المختار لينتمي إلى المسيح – بمجرد مفارقته لهذا العالم سوف تنفتح عينه، في المسيح، ويتحقق له كامل وعيه بذاته (ككنيسة)، وأما أنت يا إسرائيل "الجديد"، فسوف تمضي فترة وجودك على الأرض، في جهاد يحدده مسار النعمة. تقضي فترة وجودك هذه في مسار تراكمي للنعمة. يتنامى وعيك "القليل". تنفتح عينك تدريجياً.

في عينك، يا إسرائيل "الجديد"، "خشبة"، يتم تفتيتها، تدريجياً، وأما في عين "ذاك"، فيوجد، مجرد "قذى"، ينتزع، في المسيح.

– يا إسرائيل "الجديد"، أنت لا تستطيع، الآن، وأنت في العالم أن تدرك وجود إخوتك، هؤلاء. لا تستطيع أن تراهم، في المسيح، ولكن حينما تصير كاملا (في المسيح)، تستطيع حينئذ أن تدرك وجودهم. حينئذ يصير "التلميذ مثل معلمه"، أما الآن فلست أفضل من معلمك، حتى ما تنكر وجودهم فيه. انتظر يا إسرائيل إلى أن تتكمل حتى ما تصير لك، رؤية وبصيرة معلمك.

٣– لا تعطوا القدس للكلاب:

يا إسرائيل "الجديد"، أعط "المسيح" للآخر. أنت لا تحتكر المسيح. أنت مجرد "رافد"، من الروافد التي تملأ "جسد المسيح". و المسيح، "الممتلئ" يتجاوزك. المسيح الممتلئ هو "الكيل الملبد المهزوز"، هذا هو المعيار. آمن، يا إسرائيل بالمسيح (الذي يشترك معك آخر، في ملئه). أعط "المسيح"، للآخر، تعطاه؛ لأنه، إذا كان "الآخر" يكمل كيان المسيح، فهذا يعني أنه يكمل كيانا – أنت ذاتك – تنتمي إليه ولا تتكمل إلاَّ فيه وبه.

لا تظن يا إسرائيل "الجديد"، أن إعطاءك المسيح، للآخر، هو "إعطاء القدس للكلاب أو إلقاء الدرر للخنازير". لا تظن، أن وجود الآخر "كإخوة" لك، في المسيح، هو تخريب وتدمير لمفهوم "الكنيسة، جسد المسيح"، وواقع الحال أنه تدمير لتصوراتك "أنت"، عن الكنيسة. إن انسجام وتجانس الكنيسة، لن يشق ولن يدمر، بسبب وجود "الآخر" (رافد الجهالة)، معك في المسيح.

٤- ملحوظتان لغويتان:

عبارة "لا تعطوا"، في الأصل اليوناني،لا تحمل معني الأمر، فقد ورد الفعل في الصيغة المصدرية للزمن الماضي المبني للمعلوم، وعليه فان المعني، المقصود هو نفي حدوث فعل مستقبلي، أي أن المعني الصحيح هو: لن تعطوا القدس للكلاب، بقبولكم أن لكم أخوة، في المسيح، لا ينتمون إلى حظيرتكم، في هذا العالم.

الفعل "تمزقكم" في "تلتفت وتمزقكم"، لا يعني - في الأصل اليوناني - التمزيق (التدمير) المادي لشيء، بل يعني ضياع هيئة الشيء وتخريب الغرض منه، كما ورد في "لا يجعلون خمراً جديدة في زقاق عتيقة، لئلا "تنشق" الزقاق، فالخمر تنصب والزقاق تتلف. بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعاً". (مت ٩: ١٧)، (مر ٢: ٢٢)، (لو ٥: ٣٧)، وكما في "وبينما هو آتٍ "مزقه" الشيطان وصرعه، فانتهر يسوع الروح النجس، وشفي الصبي وسلمه إلى أبيه" (لو ٩: ٤٢).

المقالة الرابعة

مصطلح "الأمم"

أولاً الخريطة الدينية:

اسمحوا لي أن أنحت هذا المصطلح، وأنني أري أنه مهم جداً لفهم مصطلح "الأمم". وما أعنيه، بتلك "الخريطة" هو: علاقة الله بالشرائح المختلفة للبشر، المعلنة في الكتاب المقدس (بعهديه). ولهذه الخريطة وجهان: وجه ظاهري (يبدو عنصريا)؛ فنري "شعب الله المختار"، الذي أعلن له الله ذاته،من خلال "الناموس" ونري أيضاً – في نفس المشهد – الأمم، المحكوم عليهم بالإقصاء من العلاقة نهائيا.ونري أيضاً وجها آخراً للخريطة، يتكشف في مسار النعمة، وهو وجه يمثل "عدالة الله"، المستترة وراء ذلك المشهد؛ فبينما يحدث، " التمرد والرفض "داخل حظيرة الإيمان، التي لشعب الله " المختار"، نري " رعية " يتم اجتلابها، من الأمم (المرفوضين والمدانين، سابقا)، لتدخل إلى حظيرة الإيمان. هذا هو النموذج (الخريطة): شعب مدعو للإيمان (داخل الحظيرة)، شعوب مرفوضة (في الخارج)، متمردون " في الداخل " و مستجلبون (من الخارج).

هكذا كان " إسرائيل القديم "، الشعب المختار، في مقابل " الأمم " (الكلاب الضالة، المدانة، المحكوم عليها بالموت)، وبينما يتمرد، ذلك " المختار"!، يقيم الله، من أولئك "الكلاب " أمة " يغيظهم بها، بقبولهم المسيح، الذي هو: غاية الناموس (التي لم يدركوها).

في العهد الجديد يتجلي تطبيق نفس " النموذج "، ويصبح " التطبيق القديم "، مجرد " رمز"، يتم امتلاؤه في " التطبيق الجديد "؛ فالشعب "المختار"، في العهد الجديد (إسرائيل الجديد)، هو "رافد " الكنيسة، التي قبلت دعوة الإنجيل، في العالم كله. إسرائيل الجديد هو" المدعوون مسيحيين "، هو "رافد الكرازة الرسولية، للعالم أجمع ". أما في الخارج، فيوجد من هم يمثلون " المفهوم الجديد للأمم "، هؤلاء هم المحكوم عليهم (في هذا العالم)، بالسجن داخل ثقافات ومعتقدات مختلفة، يكاد يكون من المستحيل اختراقها (عمليا وواقعيا) بواسطة كرازة الإنجيل، وهم أيضاً - وللأسف الشديد - محكوم عليهم من" المسيحيين"، بالإقصاء خارج "المسيح"، وفي وسط هذه المساحة (الخارجية) المترامية من الثقافات والمعتقدات - المغايرة للثقافة والمعتقد المسيحي - يوجد الكثير من البشر الذين قد هيأهم الله، بالنعمة ليصيروا شركاء في المسيح، عوضاً عن ذلك، "المتمرد"، داخل "إسرائيل الجديد"، عوضاً عن "ابن الهلاك". وفي صلاته الأخيرة، يقدم الرب يسوع، "خريطة" العهد الجديد، في كامل وضوحها، فيقول: "حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك،الذي أعطيتني، حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك ليتم الكتاب .... ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بواسطة كلمتهم" (يو ١٧: ١٢ و ٢٠).

ثانياً عدل الله:

نحتاج إلى الاستنارة، لكي نفهم النص الكتابي. فيما يلي بعض النصوص، ونسال الرب أن ينيرها أمام أذهاننا :

"ففتح بطرس فاه وقال: بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في "كل أمة"، الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده. الكلمة (اللوغوس) التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو "رب الكل". (أع ١٠: ٣٤ - ٣٦).

"لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل مـــن يــؤمن: "لليهودي أولاً ثم لليوناني". لأن فيه معلن بر الله بإيمان، لإيمان، كما هو مكتوب: "أما البار فبالإيمان يحيا".(رو ١: ١٦).

"أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقـــاء، فبالحيـــاة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب، ولا يطاوعون للحق بل يطـــاوعون لـــلاثم، فسخط وغضب، شدة وضيق، على كل نفس إنسان يفعل الشر: "اليهـــودي أولاً ثم اليوناني". ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح: "اليهودي أولاً ثم اليونـــاني". لان "ليس عند الله محاباة". (رو ٢: ٧ – ١١).

"لأن الكتاب يقول: "كل من يؤمن به لا يخزى". لأنه لا فرق بين "اليهودي واليوناني". لأن "رباً واحداً للجميع"، مغنياً لجميع الذين يُدْعون (بضم الياء وتســـكين الدال) به. لأن "كل من يدعي باسم الرب يخلص". فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا بـــه؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كـــارز؟". (رو ١٠: ١١ – ١٤).

تعليق:

عبارة: "اليهودي أولاً ثم اليوناني"، هي إشارة لتتابع إدراك ووعـــي كنيســـة العهد الجديد؛ فإسرائيل "الجديد"، الذي صارت إليه دعوة كـــرازة الإنجيـــل، هـــو "اليهودي"، الذي يجتاز الخبرة أولاً، في هذا العالم؛ فيقبل – بما أتيح له مـــن وعـــي – صورة الإيمان، بالمسيح، وهو مدعو لتنامي هذه الصورة، إلى الشركة الأبدية في كيان المسيح (كرافد من روافد الكنيسة)، وبالطبع يتم رفض "الدعوة" من قبل "ابن الهلاك". أما "اليوناني"، فهو ذلك "الرافد" الآتي من "الأمم، غير المدعوين، والـــذي ســـينفتح إدراكه – لحقيقة ذاته (ككنيسة) – "مؤخرا"، عندما يغادر هذا العالم.

آلية عدالة الله:

الله يتيح فرصة عادلة للجميع لكي يأتوا وينضموا إلى جسد ابنه. هذه الفرصة ليست متوقفة،علي مستوي الوعي والإدراك "الثقافي" - نوعاً أو كماً - ولكنها محكومة "بالتهيئة الطبيعية"، التي تكرسها "النعمة"، في الفرد الإنساني، المُعين- سابقاً - للحياة الأبدية، في المسيح يسوع، ولذلك، فان المجهولين، المغتربين - في "الأمم" — ما أن يتكملوا- باستثمار "ناموسهم الطبيعي" لحساب المسيح، إلاَّ ويقال لهم أن وجودهم هو مضمون وغاية "الإنجيل"، الذي لم تتح لهم الفرصة لكي يؤمنوا به في العالم.

"لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون. لأنه "الأمم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا في "قلوبهم" شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب "إنجيلي" بيسوع المسيح". (رو ٢: ١٣ - ١٦).

"فماذا؟ إن كان الله، وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته، احتمل بأناة كثيرة أنية غضب مهيأة للهلاك. ولكي يبين غني مجده على أنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن إياها، ليس من اليهود فقط بل من "الأمم" أيضاً. كما يقول في هوشع أيضاً :" سأدعو الذي ليس شعبي شعبي، والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه : "لستم شعبي"، أنه هناك يدعون أبناء الله الحي ".واشعياء يصرخ من جهة إسرائيل: "وان كان عد بني إسرائيل كرمل البحر، "فالبقية" ستخلص. لأنه متمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض". وكما سبق أشعياء فقال: "لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً، لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة". (رو ٩ " ٢٢ - ٢٨).

إذن، الناموس الطبيعي (للمختارين من الأمم)، من الممكـــن أن يتطـــور – بالنعمة النابعة من الكلمة المتجسد – إلى ناموس المسيح، بينمـــا اختـــزال النـــاموس (بمفهومه الواسع) في صيغة المحتوى الشـــكلي والتصـــديق المعتـــدي – للمـــدعوين "مسيحيين"، فهذه هي حقيقة وواقع "ابن الهلاك".

معضلة التناقض بين "الإيمان بالمسيح" وخلاص "غير المسيحيين":

القاعدة الحاكمة هي "الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يو ٣: ١٨). والإشكالية (الظاهرة)، هي في فهم مصطلح "الإيمان"، فإذا كان مفهوم الإيمان هو مجرد التصديق العقلي لحقائق المسيحية والإنخراط في كل تفاصيل العبادة المسيحية، تكون النتيجة المنطقية هي إدانة كل من هو خـــارج حظيرة الإيمان المسيحي (بهذا المفهوم). وهذه نتيجة خاطئة، وليدة لمفهوم خاطئ.

جوهر الإيمان – كما يشرحه الرسول بولس في (عب ١١) – هو الرجاء غير المنظور، أي تجاوز وتخطي كل ما يُرى في إتجاه سر المسيح.

عندما يقول الرسول بولس: "الكلمة قريبة منك، في فمـــك وفي قلبـــك" أي كلمة الإيمان التي نكرز بها: لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص" (رو ١٠: ٨ – ١٠)، فإننا نستطيع أن نرصد مستويين للإيمان: المستوي الأول هـــو "صورة الإيمان" (إن اعترفت بفمك بالرب يسوع)، والمستوي الثاني هـــو "جـــوهر الإيمان" (آمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات). هذه هي الصيغة الإيمانية للمدعوين "مسيحيين": صورة إيمانية (اعتراف بالإيمان، دعوة الإنجيل) يتطور بالنعمة إلى " جوهر الإيمان"، أي الشركة في شخص المسيح بالقيامة معه. المستهدف هو جوهر الإيمان، هو

الشركة في المسيح، الأمر الذي تتممه النعمة عندما يتجاوز المسيحيون "صورة إيمانهم" منطلقين نحو العضوية في المسيح، حيث لا وجود للصورة بل للشخص.

المختارون، من "الأمم" ليس لديهم "صورة الإيمان"، ولكنهم – في مسار نعمتهم الخاص بهم – إنما يتجاوزون ويتخطون ذواتهم نحو "جوهر الإيمان"، ليجدوا أنفسهم وقد جمعتهم الشركة في المسيح، بإخوة لهم، قد أطلق عليهم – في العالم – المسيحيون.

إبراهيم، أبو الآباء ("عميد الأمم"، إن جاز التعبير) تجاوز ذاته فمارس عمق جوهر الإيمان؛ "لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي". (عب ١١: ٨). تجاوز ذاته حتى الموت إذ قدم الذي قبل المواعيد، وحيده الذي قيل له: "انه بإسحاق يدعى لك نسل". إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً" (عب ١١: ١٧ – ١٩). وهكذا آمن إبراهيم بقلبه أن الله أقام يسوع من الأموات (بإيمانه أن الله قادر على إقامة وحيده، "إسحاق" من الأموات)، لذلك "حسب له براً" (رو ٤: ٤). "لأن القلب يؤمن به للبر" رو ١٠: ١٠).

عبارة " حسب له براً "، أشبه بمقاصة – إن جاز التعبير (مقاصة الإيمان). ما هو مقدار تجاوزك لذاتك؟ هذا هو سؤال الإيمان. هل تجاوزت حتى "الموت مع المسيح"، وبالتالي حتى القيامة معه؟. الكل سوف يخضع لهذه "المقاصة"، مسيحيون وغير مسيحيين (يهوداً وأمماً): "ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً، الذين سيُحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا". (رو ٤: ٢٣ – ٢٥).

النقطة الحاكمة، بخصوص الإيمان هي "جوهر الإيمان" وليست "صورة الإيمان". جوهر الإيمان متاح للجميع (المدعوين،المؤمنين بالإنجيل والمختارين المهيئين من الأمم). صورة الإيمان (فقط)، هي كل ما يمتلكه "ابن الهلاك" المحسوب – هنا في هذا العالم – على المدعوين، مسيحيين.

المقالة الخامسة

مقاصة الإيمان

اسمحوا لي أن أستخدم هذا التعبير (التجاري)، الذي يبدو غريبا عن سـياق حديثنا، ولكنني أجده هاما للغوص في مفهوم " الإيمان "، فعندما يقدم الرسول بولس – في (عب: ١١) – أعظم تنظير لمفهوم الإيمان، فهو لا يقدمه كمضمون لصـورة، ثابتة، محدده ولكنه يقدمه " كمعالجة " بالنعمة لصور حياتية،مختلفة عاشها رجال الله، المؤمنون – كل في زمانه الخاص وفي "صورته " الخاصة، وبالرغم من ذلك، قال عنهم أنهم: " " في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروهـا وصدقوها وحيوها، ... ولكن الآن يبتغون وطنا أفضل، أي سماويـا. " لـذلك " لا يستحي" بهم الله أن يدعي إلههم، لأنه أعد لهم مدينة ". "" (عب ١١: ١٣ – ١٦).

لذلك – وبصفة عامة – نجد الرسول بولس – حينما يتحدث عن المفهـوم الشامل، والعميق للإيمان، الذي يتحقق به وجود الكنيسة، بكـل روافـدها – فانـه يستخدم كلمات تفيد " تلك المعالجة النعموية " لصور إيمان عظماء الإيمان، المختلفة؛ فيستخدم فعلا مثل " يستحي "، الذي ذكرناه في الاقتباس السابق. أيضاً في مثل آخر، يقول: " لأني لست " أستحي" بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يـؤمن: لليهودي أولاً ثم لليوناني. لأن فيه معلن بر الله بإيمان، لإيمان، كما هو مكتوب: "أمـا البار فبالإيمان يحيا ".(رو ١: ١٦ و ١٧). وأيضاً كما في: "" لأنه لاق بذاك الذي من أجله "الكل " وبه " الكل"، وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجـد، أن يكمـل رئـيس

خلاصهم بالآلام. لأن المقدس والمقدسين "جميعهم " من واحد، فلهـــذا الســـبب "لا يستحي " أن يدعوهم إخوة، قائلا: " أخبر باسمك إخوتي، وفي وســـط "الكنيســـة " أسبحك "."" (عب ٢: ١٠ – ١٢).الاستحياء (الخجل) هو الشعور بعدم لياقة أمـــر ما. وعدم الاستحياء – الذي نحن بصدده – يعني أنه ليس من غير اللائق بالله أن يؤمن به البشر، منطلقين من صور شتي، متعددة ولكنه يليق بالله أن يؤمن بـــه الكـــل، في الكنيسة. وحقيقة الأمر هي أن الاستحياء والخجل هو منظورنا، نحن، الذين نعتقد أنه لا يليق أن يوجد في كنيسة الله أي روافد غيرنا.

وأيضا، هناك فعل آخر يستخدمه الرسول بولس، يفيد مضمون إعادة التقييم والحساب، الذي يكشف بعداً جديد " للصورة "، لم يكن واضحا قبلا، كما في: " " فان الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديا الناموس، فقـــد صـــار ختانك غرلة! إذا إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس، أفما " تحسب " غرلته ختانا؟ وتكون الغرلة التي من الطبيعة، وهي تكمل الناموس، تدينك أنت الذي في الكتـــاب والختان تتعدي الناموس؟ لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديا، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان، الذي مدحه ليس من الناس بل من الله "".(رو ٢: ٢٥ – ٢٩).

إبراهيم، أبو الآباء (عميد الأمم، إن جاز التعبير)،" " امن بالله " فحسب " له برا " (غل ٣: ٦). – " ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه "حسب " له، بـــل مـــن أجلنا نحن أيضا، الذين " سيحسب " لنا، الذين نؤمن بمن أقـــام يســـوع ربنـــا مـــن الأموات. الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا " (رو ٤: ٢٣ – ٢٥). – " بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب. ...إذ "حسب" أن الله قادر على "الإقامة من الأموات ".(عب ١١: ١٧ – ١٩).

بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل، وبعد وقت السن ولدت، إذ " حسبت " الذي وعد صادقا " (عب ١١: ١١).

"" بالإيمان موسي لما كبر أبي أن يدعي ابن ابنة فرعون، مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله.. " حاسبا " "عار المسيح "غني أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة. " (عب ١١: ٢٤ – ٢٦).

كل شخص من عظماء الإيمان، المذكورين في " عب١١ " قد عاش خبرة خاصة به، عاش صورة معينة، ولكن الجميع قد اتفقوا في شيء واحد، هو أنهم كانوا ينظرون إلى ما بعد " الصورة "؛ فان اختلف الجميع في تفاصيل و أحداث صور الإيمان، فقد اتحد الجميع في " تأويل " وجوهر كل الصور، أي " شخص المسيح ".

الإيمان ليس صورة محددة ولكنه تجاوز كل الصور. " تشييء " الإيمان في صورة محددة هو تفريغ للإيمان من مضمونه. الصورة هي الخبرة البشرية – الأولي – بالله، والتي – من المفترض – أن تخضع لتجاوز النعمة، في طريق الشركة، في المسيح.

وبالنسبة لنا، نحن المسيحيين فان فهمنا لكلمات الإنجيل، واستيعابها "ذهنيا "، هو مجرد "صورة "، والنقطة الحاكمة هي: جوهر تلك الكلمات (شخص المسيح)، وليس مجرد الصورة الذهنية عن المسيح. الإيمان بالمسيح هو تجاوز الصورة الذهنية التي كوناها عن المسيح إلى الشركة في شخص المسيح.

ومن المنظور العام والشامل فان الصورة " الاستاتيكية " (الثابتة، الساكنة) ليست هي طبيعة الإيمان بل أن " ديناميكية " تجاوز هذه الصورة – أيا كانت (عقيدة أو ثقافة) – في اتجاه المسيح هي جوهر حركة الإيمان، وهذا يقودنا إلى القول بأن كل الصور هي " متكافئة " وليس هناك أي أفضلية –لصورة على أخري – بالنسبة إلى الجوهر النهائي، المحقق من خلال تجاوز كل الصور (شخص المسيح الممتلئ بالكنيسة).

أينما تتجه عيناك – في الكون – فالمفترض أهما تتجهان صوب المسيح، الكلمة الحال في الكل. القضية الأساسية هي قدرتك على البصر، تلك القدرة التي تنطلق من " حالة العمى "!؛ فالكل عميان، يبدأون رحلة الإيمان، فتنفتح أعينهم في المسيح ليدركوا – حينئذ – مدي فشل وانهيار "الصورة " الأولي، والأمر أشبه بأن تضع عدة صور أمام عدد مماثل من العميان، واتركهم يتخيلون – كل بطريقته — ما عسي أن تكون تلك الصور، وتخيل حكمهم على تلك الصور – في حالة افتراضنا بأنهم جميعا قد أبصروا. الإجابة الوحيدة الصحيحة هي أن الكل وان كان قد اختلفت الصور الموضوعة أمامهم، إلاَّ أنهم جميعا قد اتفقوا على حكم واحد بخصوص جميع الصور الذهنية التي كونوها، وهذا الحكم هو أن كل هذه الصور ليست هي الحقيقة.

كل الصور هي متكافئة – ايجابيا – من منظور قابليتها لاختراق النعمة، وتجاوزها، الذي يصب في المسيح. وكل الصور هي متكافئة – سلبيا – من منظور تركها والتخلي عنها في المسيح.

صورة إيماننا – نحن المسيحيين – هي صورة متكافئة مع كل الصور، الاستاتيكية الأخرى – من حيث كونها لا تمتلك القوة الذاتية للوصول إلى " الأصل " — ما لم يتم إخضاعها وتجاوزها بالنعمة؛ فنحن نقبل الإنجيل " كلمة الله المكتوبة " بعقولنا الطبيعية، ولكن اشتراكنا في " الكلمة الشخص " لم يتكمل، بعد، ونحن ندخل الكنيسة " المبني "ولكن دخولنا إلى " الكنيسة، جسد المسيح " لم يتكمل، بعد، نحن نؤدي الطقوس الأرثوذكسية ولكننا لم نتحرر إلى طقس السماء، بعد. نحن نعيش المنظور ولكننا لم نعش غير المنظور، بعد.

اختزال القضية – في مجرد التعاطي مع الصورة الاستاتيكية – هو الإقصاء الأبدي عن المسيح.

الفرق الأساسي بين تعاطي النعمة – مع صورتنا – وتعاطيها مع صورة" الآخر" (غير المسيحي) هي في " آلية التجاوز "؛ فبينما يتم ذلك – بالنسبة لنا – بطريقة " كمية، تراكمية "، يتم – بالنسبة للآخر – بطريقة " نوعية، دراماتيكية ". بالنسبة لنا، يتطور مستوي وعينا تدريجيا، فيتنامي إدراكنا لكياننا، ككنيسة أي يتنامى إدراكنا لسر المسيح، وبالنسبة للآخر، تنفتح عيناه بطريقة مفاجئة، ليجد نفسه في المسيح، بالمسيح. بالنسبة لنا، يجب أن يوضع " الطين " – الذي صنعه يسوع – على أعيننا، ثم يجب أن نجتاز الطريق إلى سلوام، ثم يجب أن نغتسل، وفي نهاية الطريق (التراكمي)، نعود مبصرين، وبالنسبة للآخر يكفي أن " يقول له يسوع " اذهب. إيمانك قد شفاك " فللوقت يبصر ويتبع يسوع في الطريق ".(مر ١٠: ٥٢).

التنامي التدريجي لوعينا (نحن المسيحيين)، بالمسيح، لا يفرض على المسيح تطبيق نفس الأسلوب مع الآخر؛ فهو قادر أن يعطي الآخر، الحد الأقصى للوعي، الذي لم نستطع، نحن الوصول إليه، إلاَّ تدريجيا؛ فبينما كان لابد لمرضي " بيت حسدا " أن يتم طرحهم – في البركة – بعد نزول الملاك وتحريكه للمياه، لكي يتم شفاؤهم، بينما يحدث هذا، جاء الرب يسوع، مباشرة إلى المفلوج – منذ ثمانية وثلاثين عاما – وأعطاه الشفاء. لقد كان مسار شفاء مفلوج بيت حسدا متجاوزا، تماما لصورتنا نحن (الاستاتيكية)،والتي افترضت أنه يجب أن يترل الملاك، المحرك أولا، ويجب أن يتوفر من يقوم بإلقاء المرضي في البركة. و لم تكن هذه الصورة – بتفاصيل طقسها – ملزمة للرب يسوع، خالق كل الصور، و لم تمنعه من المجيء بذاته، وبطريقة مباشرة، ليأمر المفلوج – الذي لم يكن يعرفه و لم يسمع عنه قبلا– أن يحمل سريره ويمضي.

الخلاصة: آلية " التجاوز والتخطي " – لكل الصور – الحادثة بالنعمة – هي رمانة ميزان عدالة الله، بخصوص الفرصة المتكافئة للكل، وهي أساس "مقاصة الإيمان"،

التي تزن وتحسب ما تستحقه صور الوعي البشري المختلفة، والتي هـــي مختـــارة لأن تشترك في المسيح.

المقالة السادسة

السر الكنسي وعلاقته بالآخر (غير المسيحي)

والآن لنا سؤال كاشف: هل يجوز لنا أن نعتقد بأن قدرة " سر المسيح "، مغلولة بسقف وعينا وإدراكنا به؟ هل يحدد مستوي الوعي - بسر المسيح - مدي استحقاق هذا السر في البشر؟ أم أن سر المسيح (الكلمة المتجسد في البشر) هو الاختراق الأعظم في الخليقة، الذي لا يمكن أن يحتكره، مجرد الوعي به والإدراك له من قبل شريحة معينة، من البشر. وبالتالي فان تلك القدرة تتخطي - بطريقة مطلقة - أي مستوي من مستويات الوعي والإدراك البشري؟

سر المسيح و"الصورة":

نحن المدعوون مسيحيين، ونحن ننطلق إلى الشركة في سر المسيح، إنما ننطلق من مستوي وعي " نسبي " يميزنا عن الآخر - الذي بلا وعي ولا إدراك لذلك السر- ولكن يظل هذا المستوي، من الوعي - واقعيا - جهالة، ويبقي مجرد منطلق وبداية لحركة السر، وليس كمال السر.

نحن ننطلق من صورة " ذاتنا "، من صورة أنانيتنا ونرجسيتنا، نحو " ذات بديلة " هي شخص المسيح.

طقس السر الكنسي هو صورة وعينا " النسبي " بذاتنا وبسر المسيح، تلك الصورة التي نتجاوزها في ديناميكية " الرمز" التي تصب في المسيح.

نحن نعي وندرك صورة خلقتنا وولادتنا من العدم – واصطباغنا بصبغة الوجود – حينما ننطلق من طقس المعمودية.

غاية المعمودية هي أن نصطبغ بالمسيح (قد لبستم المسيح. غل٣ :٢٧). فهل مازلنا نعتقد بأن المعمودية هي فقط مجرد صورة التغطيس (في الماء المقدس).؟

نحن نعي وندرك صورة هشاشة وجودنا وعدم ثباته، حينما ننطلق من طقس المسحة (التثبيت).

غاية "المسحة" هي أن يصير وجودنا – في المسيح – هيكلا أبديا للروح القدس. فهل مازلنا نعتقد بأن " سر المسحة " هو مجرد، صورة مسحة الزيت المقدس؟

نحن نعي وندرك صورة تشرذمنا وتفرقنا، حينما ننطلق من طقس كسر الخبز (الإفخارستيا).

غاية الإفخارستيا هي أن نصير شركاء في جسد المسيح. فهل مازلنا نعتقد بأن الإفخارستيا هي مجرد صورة الأكل لخبز مقدس؟

نحن نعي وندرك صورة مرض طبيعتنا، حينما ننطلق من طقس مسحة المرضي.

غاية "سر الشفاء "هي أن يتم شفاء طبيعتنا من داء الموت، بالشركة في المسيح، الطبيب والترياق بان واحد.فهل مازلنا نعتقد بأن "سر مسحة المرضي " هو مجرد صورة مسحة زيت القنديل، طلبا للشفاء؟

نحن نعي وندرك صورة عتيقنا، حينما ننطلق من طقس التوبة والاعتراف.

غاية "سر التوبة " هي "العودة" إلى النموذج الأصلي لوجودنا، الذي أعده الآب لنا قبل خلقة العالم، نموذج " الرب يسوع المسيح ". فهل مازلنا نعتقد بأن "التوبة " هي مجرد صورة الإقرار بقائمة سلوكية معينة، والتعهد بالإقلاع عنها؟

نحن نعي وندرك صورة جهلنا وعدم معرفتنا بالآخر، حينما ننطلق من طقس الحب الزيجي.

غاية " سر الزيجة "هي أن تصير الكنيسة عروسا لرأس كيانها، المسيح. فهل مازلنا نعتقد بأن سر الزيجة هو مجرد صورة " شرعنة " العلاقة بين الرجل والمرأة؟

نحن نعي وندرك صورة أنانيتنا، حينما ننطلق من طقس الكهنوت.

غاية الكهنوت هي أن تصير لنا القدرة والسلطان على تقديم ذواتنا قربانا مقبولاً لدي الآب في جسد ابنه، الكاهن والذبيحة. فهل مازلنا نعتقد بأن " الكهنوت هو مجرد صورة الكاهن،العتيق الذي له السلطان وحده لتقديم ذبائح عن الشعب؟

إذن: صورة السر (الطقس) هي مجرد منطلق لحركة " الرمز" – الذي يكشفه ويملأه السر – نحو جوهر السر، "شخص المسيح ذاته ". وأما نظرة " التماهي " بين الصورة والجوهر، والتغاضي عن حركة الرمز– التي هي بمثابة رحلة النعمة الفاصلة بينهما – فهي التي تدمر مفهوم السر، وتعيده إلى الممارسات الفريسية العتيقة، وربما تعيده إلى الوثنية!.

نحن المسيحيون، حينما نمارس السر الكنسي فنحن نعيش المسيح، ولسنا نعيش صورة السر (طقس السر). المسيح شخص حي وليس صورة طقسية. المسيح واحد يجمع الكل و"صور " السر الكنسي متعددة، ولكن كل منها، على حدة يهدف إلى الشركة في المسيح الواحد.

سر المسيح هو سر كامل؛ نحن لا يمكن أن " نعتمد "، حقا، ما لم يكن قد صرنا " افخارستيين "، وما لم يكن قد شفيت طبيعتنا، وما لم يكن قد صرنا كهنة، وما لم يكن قد صرنا عروسا للمسيح، وما لم يكن قد عدنا (تبنا) إلى نموذجنا الأصلي (الرب يسوع المسيح)، وما لم يكن قد صرنا هيكلا للروح القدس. فأي صورة من

صور الأسرار السبعة ليست لها أي جدوى، ما لم يكن استحقاقها هو شخص المسيح الممتلئ بالكنيسة.

والآن نستطيع أن نقول بأن طقس السر ليس هو النقطة الحاكمة، وليس هـــو المعيار الذي يحتكم إليه في دينونة الآخر، بل أن المعيار هو جوهر السر، شخص المسيح ذاته، ذلك الشخص الذي، من المستحيل أن يكون الطريق إليه، غير منطلـــق إلاَّ مـــن "صورتنا " نحن فقط.

هذه الصور هي صورنا نحن، ننطلق منها لنتجاوزها إلى الشخص، وأما الآخر "غير المسيحي " فالكلمة المتجسد، له القدرة أن يأتي به محققا سره فيه: فيلبسه ذاتـــه، صابغا إياه، دون احتياج لصورة " صبغة الماء "، وجاعلا إياه هيكلا للروح القـــدس، دون احتياج لصورة "مسحة الزيت "، مصيرا إياه شريكا في جســـده، دون احتيـــاج لصورة " الشركة في الخبز المقدس "، معطيا إياه الشفاء من داء الموت الطبيعـــي، دون احتياج لصورة " صلاة زيت القنديل "، جاعلا إياه كاهنا يقدم ذاتـــه لـــلآب، دون احتياج لصورة " الكاهن رافع الذبيحة "، جاعلا إياه يعود إلى النموذج الأصلي الذي خلقه الله من أجله، تاركا عتيقه، دون احتياج إلى صورة " الإقرار بمظاهر وسلوكيات " هذا العتيق، جاعلا إياه عروسا له دون احتياج إلى صورة " الاحتفالية بشرعنة علاقة الحب الزيجي ".

الخلاصة:

إذا كان سر المسيح هو مجرد طقس (صورة) فانه يجوز لنا – بضمير مستريح – أن نكون قضاة وأن نحكم بالهلاك الأبدي على الآخر (الذي بلا طقس)، ويجوز لنا أيضاً أن نطرده من الشركة في المسيح. ولكن إذا كان سر المسيح هو شخص المســـيح

"ذاته "، فانه يجب علينا أن نعتقد بأنه يليق بذلك الشخص أن يكون قادرا على تكميل كيانه، برافد يجتلبه من ذلك " الآخر"، أيا كان طقسه (صورته).

ملحوظة / يمكن العودة إلى شرح مستفيض عن الأسرار، على هذه المدونة (مساحة حرة)، تحت التعليقات الخاصة بمقالة د/ جورج حبيب " لوثر والآباء :العشاء الرباني - تدوينات قديمة.

المقالة السابعة

مصطلح "الكرازة"

في سياق تنظير الرسول بولس - بالروح - لمصطلح " الكرازة "، نجده يقدم تعبيرا عجيبا ومدهشا هو "جهالة الكرازة ": " لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة." ١٠ كو: ٢١).

لغويا، مفردة " الجهالة "، الواردة هنا، (في الأصل اليوناني) لا تعني " عدم المعرفة " بل تعني عدم فاعلية (عدم صلاحية) المعرفة، المتاحة، ويستخدم الرسول بولس - في نفس السياق - مفردة مقابلة، في المعني هي مفردة " الحكمة ". والحكمة ليست هي المعرفة، بل هي قوة وفاعلية وجوهر المعرفة. ولعل أفضل مثل على هذه المقابلة، الكاشفة هو هذه الآية: " فان كلمة الصليب عند الهالكين "جهالة "، وأما عندنا نحن المخلصين فهي " قوة الله "، لأنه مكتوب: " سأبيد حكمة الحكماء، وأرفض فهم الفهماء " (١ كو ١: ١٨ و ١٩).

- " الحكمة "، في النهاية هي " شخص الكلمة ".

- " الجهالة " هي البطلان، هي " التحييد "، هي الصورة " الميتة "، لشيء موجود، ولعل أعجب مثل نضربه، من الكتاب - وقد ورد فيه الفعل الأصلي الذي اشتق منه، اسم " الجهالة " - هو: " انتم ملح الأرض، ولكن أن " فسد " الملح فبماذا يملح؟ لا يصلح بعد لشيء، إلاَّ لأن يطرح خارجا ويداس من الناس. " (مت ٥: ١٣).

"جهالة" الكرازة :

تعني " تحييد " الكرازة – من منظور قوتها الذاتية – في تحقيق هدفها في العالم. الكرازة تقدم "صورة المسيح " للعالم ولكن جوهر الكرازة هو " شخص المسيح الحي " وليس صورة المسيح. القوة الفاعلة – في مسار حركة الكرازة – هي شخص يحقق وجود ذاته، الممتلئة بالكنيسة.

جهالة الكرازة لها مستويان: المستوي الخاص بما هو خارج مسار دعوة الكرازة، وهذا تحييد "طبيعي " للكرازة؛ نظرا لغياب الكرازة تماما، والمستوي الخاص بدعوة الكرازة، ذاتها، فالفعل الكرازي يتم بقوة تتخطي مجرد الكرازة، حتى لا يكون لأحد فخر: " فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدري وغير الموجود ليبطل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء. حتى كما هو مكتوب: " من افتخر فليفتخر بالرب ".(١كو: ٢٦ – ٣١).- " وأنا كنت عندكم في ضعف، وخوف، ورعدة كثيرة. وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة. لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله ".(١كو ٢: ٣– ٥).

الإنجيل – الذي تستهدف حركة الكرازة توصيله للمدعوين – ليس مجرد رسالة مكتوبة، بل هو مجد المسيح ذاته الذي يحققه المسيح بذاته، وأما الكلمة المكتوبة، العارية من جوهرها الشخصي (المسيح)، فهي " الإنجيل المكتوم "، الذي لا يحمل أي قوة ذاتية في مسار الفعل الكرازي: " ولكن إن كان إنجيلنا مكتوما. فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضئ لهم

إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله. فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربا، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع. لأن الله الذي قال: " أن يشرق نور من ظلمة "، هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. " (٢كو ٤: ٣ - ٦).

كرازة الدعوة :

التدبير الخاص بالمدعوين، في مسار حركة الكرازة - في العالم كله - هو تدبير الشركة في موت المسيح؛ الصلب مع المسيح؛ يتم هذا الحدث بطريقة تراكمية تغطي زمن حياة المدعوين،علي الأرض :

"ولكننا نحن نكرز بالمسيح "مصلوبا ": ..... للمدعوين: يهوداً ويونانيين، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله."(١كو ٢: ٢٣ و ٢٤).

" وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم بشهادة الله، لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوبا." (١كو ٢: ١و٢).

" فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، " تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ ".(١كو ١١: ٢٦).

إذن، رافد الكنيسة، النابع من المدعوين- المستهدفين بالكرازة - هو ذلك الرافد الذي يختبر موت المسيح هنا في هذا العالم، فيختبر قيامته ويختبر مجيئه، فيه تدريجيا (علي مستوي الفرد والجماعة بان واحد).

شريحتان مأزومتان (في هذا العالم)، حيال مضمون (جوهر) الكرازة:

يقدم الرسول بولس، جوهر دعوة الكرازة (الموت مع المسيح) في مقارنة مع شريحتين مأزومتين لا تستطيعان أن تجتازا نفس الترتيب، بل تحتاج، كل منهما إلى عطية خاصة لعبور هذه الهوة: "لان اليهود يسألون آية، واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا: لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة! وأما للمدعوين: يهوداً ويونانيين، فبالمسيح قوة الله وحكمة الله."(١كو ١ :٢٢ -٢٤).

اليهودي " المتعثر" هو "إسرائيل القديم، كنيسة العهد القديم، هو ذلك الرافد – من روافد كنيسة المسيح – الذي عاش "موعد" المسيح، من بعيد وصدقه (عب ١١: ١٣) ولكنه مات، بحكم طبيعته، وعندما ظهر المسيح (جوهر الكرازة)، لاحت بينه وبين ذلك الجوهر، هوة فاصلة، هي عثرة موته؛ لذلك فهو يحتاج " آية "؛ يحتاج أن " يبعث " من موته، بطقس خاص به، يختلف عن طقس "دعوة الكرازة "، طقس الكرازة المباشرة للشخص ذاته، الذي هو جوهر الكرازة، ذلك الشخص الذي ذهب فكرز للأرواح التي في السجن (١ بط ٣: ١٩). هذا هو رافد " الراقدين " الذين سيحضرهم الله بيسوع أيضاً معه "(١ تس ٤: ١٤).

اليوناني (الأممي) " الجاهل " هو ذلك الرافد – من روافد الكنيسة – الذي لم تصله دعوة الكرازة، مطلقا. هو " بلا كارز" (رو ١٠: ١٤)، لذلك هو يطلب "حكمة "، يطلب المسيح وبواسطة " الكلمة " الحال فيه والذي اختاره – مهيئا إياه – تصير له الشركة في المسيح، بطقس مباشر، لا يخطر على قلب " أبناء دعوة الكرازة ".

هذان هما " بوانرجس "، ابنا الرعد، (مر ٣: ١٧)، اللذان ينفتح وعيهما بذاتيهما – ككنيسة – بغتة في المسيح. هذان هما جناحا الكنيسة اللذان قد اعد لهما

من الآب (مت ٢٠: ٢٣) أن يجلسا عن يمين وعن يسار الرب في ملكوتــه. همــا – بالتأكيد – لم يشربا كأسه و لم يصطبغا بصبغته (بنفس الصورة الحادثة لنا، نحن أبنـــاء دعوة الكرازة) – وهذا يتضح من السؤال الاستنكاري: " لستما تعلمان ما تطلبـــان. أتستطيعان أن تشربا من الكأس التي سوف أشـــربها أنـــا، وأن تصـــطبغا بالصـــبغة (المعمودية) التي أصطبغ بها أنا! " قالا له: " نستطيع " (مت ٢٠: ٢٢)، ولكنه عـــاد فأعلن لهما أن هناك عطية خاصة قد أعدت لهما، تجعلهما يشتركان في الكـــأس وفي الصبغة: " فقال لهما: أما كأسي فتشربانها والصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلاَّ للذين أعد لهم من أبي. " (مـــت ٢٠: ٢٣).

هذان هما جناحا الكنيسة، المستتران،هنا في العالم؛ فتبـــدو كنيســـة دعـــوة الكرازة، منتصبة على قدميها، لا تعي جناحيها " المحيَّدين "؛ فلم تحلق الكنيسة، بعـــد، في السماء ولكن حينئذ فقط، في المسيح الممتلئ تبدو الكنيسة في كامل وعيها، محلقـــة بجناحيها. وأما الآن فيجب علينا نحن أبناء دعوة الكرازة أن نتحرر مـــن "عنصـــريتنا، ومن " غيظنا من أجل الأخوين "، كما فعل العشرة (مت ٢٠: ٢٤)، وهاهو صوت يسوع يبكتنا معهم: " فلا يكون هكذا فيكم بل من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبدا.(مت ٢٠: ٢٥).

هذان هما " جناحا النسر العظيم "(رؤ١٢: ١٤)، اللذان أعطيـــا للكنيســـة المغتربة في برية هذا العالم – حيث يعولونها لزمن وزمانين ونصف زمـــان – بعـــد أن تكرس وجود الابن الذكر العتيد أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد، الذي اختطف إلى الله والي عرشه (الرب يسوع). والآن – وهي في غربتها – إنما تخضع لحرب مـــع التنين، تستهدف باقي نسلها (نحن أبناء دعوة الكرازة)، الذين "عندهم شهادة يسوع المسيح " (رؤ ١٢: ١٧).

هذان هما الشاهدان (رؤ١١: ١ - ١٤) اللذان يشهدان بأنهما " في الكنيسة، في المسيح "، من وراء ستار عدم وعينا بهما، وإقصائنا لهما،ونحن في هذا العالم: " ثم أعطيت قصبة شبه عصا، ووقف الملاك قائلا لي: " قم وقس هيكل الله والمذبح والساجدين فيه.وأما الدار التي هي خارج الهيكل، فاطرحها خارجا ولا تقسها، لأنها قد أعطيت للأمم،وسيدوسون المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهرا. وسأعطي " لشاهدي "، فيتنبأن ألفا ومئتين وستين يوما، لابسين مسوحا ". هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض."(رؤ ١١: ١ - ٤).

ولكن، في المسيح، في يوم الرب، خارج زمن الغربة (في هذا العالم)، سوف تتملكنا الدهشة، نحن أبناء دعوة الكرازة، لوجودهما في شركة الحياة، في الكنيسة: " ثم بعد الثلاثة الأيام والنصف، دخل فيهما روح حياة من الله، فوقفا على أرجلهما. ووقع خوف عظيم على الذين كانوا ينظرونهما. وسمعوا صوتا عظيما من السماء قائلا لهما: " اصعدا إلى ههنا ". فصعدا إلى السماء في السحابة، ونظرهما أعداؤهما. (رؤ ١١: ١١ و١٢).

الخلاصة:

تمتلئ الكنيسة من ثلاثة روافد: ١- القادمون من " دعوة الكرازة "، بقبولهم تلك الدعوة (رافد دعوة الكرازة). ٢- القادمون من موتهم الطبيعي (الراقدون، "رافد عثرة الكرازة "). ٣ - القادمون من جهالاتهم (الأمم، " رافد جهالة الكرازة ").

المقالة الثامنة

الكنيسة بين "عهدين"

كانت لحظة التجسد نقطة مفصلية في زمان الكون كله، وبالنسبة لتحقق وجود الكنيسة، فهي اللحظة التي ابتلعت الزمن – ماضيا ومستقبلا – في حاضر أبدي؛ فهي مصب الماضي والمستقبل بان واحد، وفيها يصب كل القادمين – من البشر – المختارون ليملأوا الكنيسة.

وان كنا قد اقتنعنا بأن الروافد – التي تملأ الكنيسة، من منظور الكرازة – هي ثلاثة روافد (رافد دعوة الكرازة، رافد عثرة الكرازة و رافد جهالة الكرازة)، فإننا نقول بأن هذه الروافد الثلاثة إنما تصب، في الكنيسة من خلال مسارين، لا ثالث لهما، ينحتان في صخرة الزمن: – المسار الأول هو مسار ماضي هذه اللحظة، أي كنيسة العهد القديم. – المسار الثاني هو مسار مستقبل هذه اللحظة، أي كنيسة العهد الجديد برافديها (دعوة الكرازة و جهالة الكرازة).

المسار الأول يخص أولئك الذين نظروا موعد المسيح، من بعيد وصدقوه، ولكنهم هلكوا بحكم الطبيعة البشرية الفاسدة، وما أن تجسد الكلمة إلاَّ وتزلزل الزمان والمكان وبعثوا، من جحيمهم بفضل ذلك الكارز الذي نزل بنفسه، من قبل الصليب واقتحم الجحيم وحررهم من السجن، وأنشأ لهم وجوداً جديداً بالشركة في قيامته. لذلك أطلق عليهم الكتاب مصطلح " الراقدين "؛ لأن هلاكهم لم يكن أبديا – كما كان من المفترض بحكم الطبيعة – ولكنهم – في المسيح – قد نهضوا من الموت، فكان

ذلك الأمر مثل استيقاظ النائم من نومه: " الراقدون سيحضرهم الله بيسوع أيضاً معه ".(١ تس ٤: ١٤).

أما المسار الثاني، فيخص الذين عاصروا لحظة تجسد الكلمة – الممتدة إلى الأبد – واشتركوا في صليبه وموته؛ لذلك لا يكون موقم موتا، ولا رقاداً ولا هدما يستأصل الكيان نهائيا – كما للأولين – ولكن مجرد خلع للعتيق، مجرد تغيير :

" لأننا نعلم إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماوات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي. فإننا في هذه نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء.وان كنا لابسين لا نوجد عراة. فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين، إذ لسنا نريد أن " نخلعها " بل أن " نلبس فوقها "، لكي يبتلع المائت من الحياة." (٢كو ٥: ١ – ٤).

" هوذا سر أقوله لكم: " لا نرقد كلنا "، ولكننا كلنا " نتغير "، في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فانه سيبوق، فيقام " الأموات " عديمي فساد، و" نحن نتغير ".(١كو١٥: ٥١ و ٥٢)."

حقيقة الكنيسة، هذه يعلنها الرب بنفسه، وعن نفسه – كحاضن لها في أحشائه – فيقول: " أنا هو القيامة والحياة، " من امن بي ولو مات "(كنيسة العهد القديم) فسيحيا، و" كل من كان حيا وامن بي "(كنيسة العهد الجديد) فلن يموت إلى الأبد.(يو ١١: ٢٥ و ٢٦)."

كلا المسارين قد شربا من عصير ثمرة شجرة الصليب، أي القيامة ولكن هناك فرقا أساسيا بين المسارين، فبينما أشرقت القيامة – النابعة من خشبة الصليب – على أولئك الذين في الجحيم، بغتة – فأيقظتهم من رقادهم – كان لابد لأصحاب المسار الثاني – أصحاب العهد الجديد – أن يموتوا موت الصليب، مع المسيح، وكان لابد أن

يتكرس في وعيهم هذه الخبرة، أي خبرة الموت مع المسيح التي تستر في داخلها خبرة الحياة بقيامة المسيح.

المسار الأول هو مسار أصحاب عهد " الذبيحة الدموية "، عهد الفصل بين الذبيحة والكاهن، عهد الفصل بين ما هو مقبول - لدي الله (الذبيحة) - والإنسان.أما المسار الثاني فهو مسار أصحاب عهد الذبيحة العقلية، عهد الموت مع المسيح بشركة صليبه، ذلك الموت المعجون بزيت القيامة، الذي يستعلن - حينما يكتمل - العضوية في الذبيحة التي هي الكاهن، ذاته، الرب يسوع المسيح.

أصحاب العهد الجديد يجتازون خبرة موت عتيقهم، باشتراكهم في صليب المسيح. يواجهون الموت ويبيدونه، في ذلك الذي أسس لهم هذا السر وذلك بخلاف أصحاب العهد القديم الذين لم يتسن لهم مواجهة الموت وبالطبع لم يتسن لهم الانتصار عليه، في حياقم الأرضية، بل قد ابتلعهم كما يبتلع كل شيء في الكون، وكانت لحظة التجسد هي لحظة تجاوز كل شيء بالنسبة لهم.

شاهدا الجنب المطعون (الدم والماء):

في شهادته الفريدة، يرصد العظيم يوحنا اللاهوتي في: (يو ١٩: ٣٤)، خروج " دم وماء " من الجنب المطعون للمصلوب ويعيد توثيق هذه الشهادة، بدلالاتها - المملوءة سرا - في رسالته الأولي: " هذا هو الذي أتي بماء ودم، يسوع المسيح. لا بالماء فقط، بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد، لأن الروح هو الحق. ... والذين يشهدون...هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم. والثلاثة هم في الواحد ". (١يو ٥: ٦ - ٨).

بالنسبة للمصلوب، " الدم" هو " شهادة حياة "، " الماء" هو" شهادة موت ". هذان الشاهدان المتناقضان - ظاهريا - هما الكنيسة الكاملة، الخارجة من جنب المصلوب. هما عهدا الكنيسة المستوعبان لزمن البشرية كله.

ومدلول كل شهادة يشير إلى موقف كل عهد من صليب المسيح؛ فشهادة الحياة التي في "الدم" تشير إلى العهد القديم، الذي لم يشترك أصحابه - بموت عتيقهم - في موت المسيح؛ إذ لم يكن لهم "جديد " بعد، وبالتالي فلا معنى لكلمة "عتيق ". وعندما نهض هؤلاء من موتهم - بفضل صليب المسيح المحيي - أصبحوا شاهداً على الحياة التي في المصلوب، هكذا خرجوا من جنبه في صورة " الدم ". وشهادة الموت التي في " الماء" تشير إلى العهد الجديد الذي يشترك أصحابه - بموت عتيقهم - في موت المسيح: " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة؟ لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية ...فان كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه." (رو ٦ :٣-٨).

شهادة الدم تعني أن موت الصليب كان بالنسبة لكنيسة العهد القديم بمثابة الحياة التي بعثتهم من موتهم الطبيعي، وشهادة الماء تعني أن موت الصليب كان بالنسبة لكنيسة العهد الجديد بمثابة الموت لعتيقهم لحساب جديدهم.

هذان هما وجها الشهادة التي للكنيسة الممتلئة: وجه شهادة الشركة في" الحياة " ووجه شهادة الشركة في" إبادة الموت". هذان الشاهدان، معا،هما " العروس امرأة الخروف " (رؤ ٢١: ٩)، حواء الجديدة، الكنيسة الخارجة من جنب عريسها المطعون.

ملاحظات على النص اليوناني:

١- الفعل " أتي "، هو فعل من أفعال المجيء والقدوم والحركة ويستخدم كثيرا - في العهد الجديد - للحديث عن مجيء الرب وظهوره الثاني في كنيسته الممتلئة ولا يعني - بأي حال من الأحوال — الإحضار لشيء، أو التقدمة لشيء.

٢- الاسم " يسوع المسيح ": عندما يذكر- بهذا الترتيب، وبصيغة التنكير لكلا الاسمين (كما هو وارد في الأصل اليوناني) - فانه يعني حركة النعمة التي تحقق وجود الكنيسة المكتملة، المالئة لشخص المسيح، بتجميع أعضائه. ويمكن التحقق من هذا الطرح، بالرجوع إلى استخدام هذه الصيغة في المواضع الكثيرة، في العهد الجديد لاسيما في رسائل بولس الرسول، حيث ينبغي لنا أن نفرق بين دلالة هذه الصيغة ودلالة الصيغة المعاكسة (المسيح أولاً ثم يسوع، أيضاً مع تنكير الاسمين)، وهذا موضوع كبير، من الممكن أن يكون مضمونا لبحث آخر.

٣- حرف الجر، الوارد في " لا بالماء فقط بل بالماء والدم "، على الأقل هو غير دقيق؛ فالحرف الموجود في الأصل اليوناني هو " en "، الذي يعني " داخل الشيء = في ".

٤- ترتيب العنصرين: من الملاحظ أن الترتيب قد اختلف؛ فقد ورد، في الإنجيل: دم وماء. وورد في الرسالة: ماء ودم.

الماء والدم: لأن الرسول يخاطب أصحاب دعوة الكرازة، فقد بدأ بالماء، الذي هو الشهادة الخاصة بهم، وليس هذا فحسب بل قد صنع استدراكا، آخرا (لا بالماء فقط بل بالماء والدم)؛ هكذا ينبغي للرسول أن يزيل غشاوة تمركز وعينا، في ذاتنا فقط، و في شهادتنا فقط؛ فهناك شهادة أخري هي شهادة الراقدين، شهادة الدم.

الدم والماء: هو الترتيب التاريخي، الواقعي، ترتيب أسبقية الوصول للشاهدين، ولحظة طعن جنب المصلوب - التي يرصدها الإنجيل - هي اللحظة التي طعن فيها زمن الكون، ليخرج منها شاهد الماضي (الدم)، أولاً ثم يستتبع بشاهد الحاضر (الماء) :

" إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب (المعني الأكثر دقة هو: المتبقين من رصيد مجيء الرب)، لا نسبق الراقدين. لان الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف يترل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا. ثم نحن الأحياء

الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب." (١ تس ٤: ١٥ – ١٧).

" ولما فتح الختم الخامس، رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله، ومن أجل "الشهادة " التي كانت عندهم، وصرخوا بصوت عظيم قائلين: " حتى متى أيها السيد القدوس والحق، لا تقضي وتنتقم " لدمائنا " من الساكنين على الأرض؟ " فأعطوا كل واحد ثيابا بيضا، وقيل لهم أن " يستريحوا " زمانا يسيرا حتى يكمل العبيد "رفقاؤهم "، و" إخوتهم " أيضاً العتيدون أن يقتلوا مثلهم."(رؤ ٦: ٩ – ١١).

٥- " الروح هو الذي يشهد ": الروح القدس هو الذي يحقق الشركة في موت المسيح، لأصحاب العهد الجديد بصبغة الماء والروح (شهادة الماء)، وهو أيضاً – في " شهادة الدم "، وبترتيب لا نستطيع أن ندركه – نحن أصحاب العهد الجديد – يخترق الجحيم، يخترق العدم ليستعيد منه قديسي العهد القديم.

موت الصليب، بالنسبة لكل من رافدي العهد الجديد:

إذا كان هناك فرق بين موقفي كل من العهدين وموت الصليب، فان هناك فرقا آخرا، بين موقفي رافدي العهد الجديد (رافد دعوة الكرازة ورافد جهالة الكرازة) وموت الصليب. بالتأكيد، إن كل من الرافدين قد اختمر بخمر الصليب ولكن يبقى رافد " دعوة الكرازة " هو " الخمر العتيق " الذي يتقبل – عن وعي – صليب المسيح ويحمله بالنعمة في مسار متدرج متصاعد، حتى الموت (مع المسيح). أما رافد "جهالة الكرازة " فقد تهيأ – بفضل بذار الكلمة الحال فيه – لأن يعبر ذاته إلى المسيح، الذي فيه يدرك لأول مرة أنه قد عبر "العتيق " إلى " الجديد "، يدرك لأول مرة أنه صلب مع المسيح.رافد الجهالة له نفس سمة رافد الدعوة من حيث كونه لا يرقد كالأولين، بل

ينتقل من وجوده الأرضي إلى الوجود في المسيح، حيث ينشأ له وعي كامـــل بكـــل الحدث. كلا الرافدين (الكرازة والجهالة) هما خمر للمسيح، ولكن يبقي الفرق: الأول هو الخمر العتيقة، والثاني هو الخمر الجديدة. وأما وعينا نحن أبنـــاء دعـــوة الكـــرازة (الزقاق العتيقة) – بهذه القضية، هنا على الأرض – فيبقي قاصرا ويكاد يكون منعدما، وسيبقي هذا الفصل بين الرافدين إلى أن يتلاشي في المسيح لأنه " ليس أحد يجعل خمرا جديدة في زقاق عتيقة، لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق، فالخمر تنصب والزقاق تتلف. بل يجعلون خمرا جديدة في زقاق جديدة ". (مر ٢ :٢٢).

المقالة التاسعة

بعض الرموز لرافد "جهالة الكرازة" (١)

١- عرس قانا الجليل (يوحنا ٢: ١-١١):

الجليل، التي هي خارج الحظيرة (اليهودية)، كانت مسرحا لأول معجزة ترصدها الأناجيل.

" ليس لهم خمر ": هذا هو ما نعتقده، نحن أبناء "دعوة الكرازة "، حيال رافد الجهالة.

" لم تأت ساعتي بعد ": فالزمن الحاضر ليس مجالا لإعلان شهادة هذا الرافد؛ فهذه الشهادة هي الاستعلان المؤجل، في الزمن الحاضر، ولكن في المسيح سوف تتحول الأجران المليئة بالماء إلى خمر جيدة، مبهرة لكل الحاضرين، مبهرة لوعي الكنيسة الممتلئة؛ فالعرس هو ملكوت السموات، هو الكنيسة، جسد المسيح الممتلئ؛ فحضور العرس هم: الرب يسوع (رأس الجسد)، أم يسوع (رمز للرافد الأم، رافد عثرة الكرازة الذي منه ومعه عبر الكلمة بالكنيسة من عثرة الموت التي أطاحت بالأولين)، التلاميذ (رافد دعوة الكرازة) و أصحاب العرس (رافد جهالة الكرازة).

تضامن أم يسوع وتعاطفها مع أصحاب العرس هو انتماء كلا الرافدين (عثرة الكرازة وجهالة الكرازة) إلى جبهة واحدة تمثل القادمين من خارج " دعوة الكرازة ".

٢- شفاء ابن خادم الملك (يوحنا ٤: ٤٣-٥٤):

الجليل، أيضا، " حيث صنع الماء خمرا ".- يتقدم خادم للملك ويطلب من يسوع شفاء ابنه المحموم: " يا سيد، انزل قبل أن يموت ابني "، قال له يسوع: " اذهب ابنك حي " فامن الرجل ... وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين: " إن ابنك حي ". فاستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى، فقالوا له: " أمس في الساعة السابعة تركته الحمى " ففهم الآب أنه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع: " إن ابنك حي " فامن هو وبيته كله. انه إذن إدراك الشفاء، والإيمان من خلال الحدث السابق. هكذا تقدم هذه المعجزة، "رافد جهالة الكرازة " كرافد " الوعي بأثر رجعي ".

٣- المرأة السامرية (يوحنا ٤: ١-٤٢):

جلس يسوع وحده معها (في غيبة التلاميذ، الذين " قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما ")؛ هكذا يلتقي الرب بأصحاب هذا الرافد، مباشرة، في غيبة دعوة الكرازة.

"قال لها يسوع: " حسنا قلت: ليس لي زوج، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق ".: انه الرافد المدان، هنا، في العالم، من قبل أصحاب دعوة الكرازة؛ يرون أصحابه موسومون بالزنا، لإتباعهم آلهة غريبة (كما هو ظاهر، هنا في هذا العالم).

ولكن للرب رؤية أخري :" قال لها يسوع: " يا امرأة، صدقيني أنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل

هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا " ".- إذن، النقطة الحاكمة ليست هي الرؤية الكلاسيكية، اليهودية، التي تقصي الآخر (التي يتبناها إسرائيل الجديد، أصحاب دعوة الكرازة، نظرا لأنهم لم يتكملوا بعد)، ولكن رؤية الرب، الكلمة المتجسد الذي يستعلن في هؤلاء المتغربين، وسط الجهالة. يستعلن في هؤلاء الساجدين الحقيقيين (الذين يسجدون لما لا يعلمون، هنا في هذا العالم).

" قالت له المرأة: " أنا أعلم أن مسيا، الذي يقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء " قال لها يسوع :" أنا الذي أكلمك هو ". وعند ذلك جاء تلاميذه، وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة. ولكن لم يقل أحد: " ماذا تطلب؟ " أو " لماذا تتكلم معها؟ " – ذهب إلى السامرة و" مكث هناك يومين فامن به أكثر جداً بسبب كلمته (اللفظة مفردة = اللوغوس). وقالوا للمرأة: " إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم ".

يقدم لنا حديث السامرية، والسامريين، رافد جهالة الكرازة، متموقعا في الكنيسة، من خلال افتقاد الكلمة المتجسد له مباشرة، من دون أدنى علاقة لمسار دعوة الكرازة (التلاميذ)، بالقضية، إطلاقا؛ فهم يجهلون تماما ملابسات لقاء المرأة مع الرب، أيضاً هم لم يكن لهم أية مبادرة للسؤال عن هذه الملابسات. قد كان مجيء التلاميذ، بعد أن كشف الرب عن ذاته للمرأة، فكانت بمثابة لحظة الكشف للجميع، في المسيح.والعجيب أيضا، هو أن دعوة السامرية، ذاتها لأهلها لم تكن هي النقطة الحاكمة في إيمانهم. هكذا يبدو الفعل الكرازي محيداً تماما، وبصفة مطلقة بالنسبة لذلك الرافد، من روافد الكنيسة. فالكارز الذي أتى بهذا الرافد هو ذلك الذي يكرز قائلا: " أنا الذي أكلمك هو "

٤- مثل "السامري الصالح" (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧):

السؤال الذي تطرحه على نفسك، يا رافد " دعوة الكرازة "، وغالبا ما تفشل في الإجابة عليه، هو: " من هو قريبي؟ ". من هو ذلك الذي أنت عتيد أن " تحبه كنفسك"؟. - أنت تتصور دائما أن قريبك هو الذي ينتمي إليك في قناعاتك هنا - في العالم - (الكاهن واللاوي) ولكن الإجابة الصحيحة هي: " الذي صار قريبك هو الذي صنع معك رحمة "؛ فبينما أنت متغرب هنا - عن وطنك السماوي - نازلا من أورشليم إلى أريحا - فانك لا تدرك أن التئام جرحك، وتكميل كيانك واستعلان حياتك، لا يتأتى إلاَّ بوجود ذلك الآخر المغاير (السامري). فبينما قد تركك من هم محسوبون عليك - الآن - (الكاهن واللاوي)، تقدم إليك ذلك الغريب،عنك - كما تعتقد أنت الآن - و " ضمد جراحاتك، وصب عليها زيتا وخمرا، وأركبك على دابته، وأتى بك إلى فندق واعتنى بك ". عنايته بك، وانتمائه لك (قرابته لك) قد استعلنت بعودتك إلى وطنك (أورشليم)، وبنزولك في " بيت الآب (المسيح) الذي به منازل كثيرة " (يو ١٤ :٢). ذلك الآخر (المغاير) هو الخمر الجديدة، الجيدة التي بها يلتئم جرحك ويتكمل كيانك، ومشكلتك أنك مازلت تري أن هذه الخمر هي مجرد ماء في الأجران الستة.

٥- مريض بيت حسدا (يوحنا ٥: ١-١٥):

" هذا رآه يسوع مضطجعا، وعلم أن له زمانا كثيرا، فقال له: " أتريد أن تبرأ؟ " أجابه المريض: " يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آت، ينزل قدامي آخر ". قال له يسوع: " قم. احمل سريرك وامش ". فحالا برئ الإنسان وحمل سريره ومشي ".

هذا هو الرافد المتروك، المطروح، المهمل، خارج حركة مياه " دعوة الكرازة ". لا أحد يراه. لا أحد يعبأ به. لا أحد يدرك وجوده طيلة زمان هذا العالم. فقط، الرب – وفي نهاية زمن غربته – هو الذي يفتقده بنفسه، مباشرة ويأمر له بالشفاء ويستعلن مساواته مع من استحقوا النزول إلى " المياه المتحركة ".

أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو، لأن يسوع اعتزل، إذ كان في الموضع جمع ".

رافد الجهالة، يجهل تماما – في هذا العالم – أنه مستهدف من قبل الكلمة المتجسد، لكي ما يبرئه. فيسوع معتزل عنه هناك، محجوب عنه في مسار " دعوة الكرازة "، حيث موضع الجمع.

" بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له: " ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضا، لئلا يكون لك أشر. فمضي الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه".

في الهيكل، فقط. في السماء. في الكنيسة الممتلئة. في المسيح. سوف يتجلى هذا الرافد، ويتجلي وعيه بذاته، وتتجلي شهادته للرب، رأس كيانه.

٦- المفلوج النازل من السقف (مت ٩: ١- ٨)، (مر٢: ١- ١٢) و (لو ٥: ١٧ – ٢٦):

كان البيت مجرد كتلة من البشر، لم يستطع الرجال الأربعة – حاملي المفلوج – أن يدخلوا بالطريق الشرعي. صعدوا إلى السطح. كشفوا الأجر ودلوا المفلوج بسريره قدام يسوع.

رافد جهالة الكرازة، لا مكان له في بيتنا الأرضي، ولكن حينما ترتحل الكنيسة الممتلئة، من هذا العالم ويكمل الملائكة تجميعها من " الأربع الرياح "، سوف تستعلن أصالة هذا الرافد كشريك في الشفاء الذي صنعه الرب. لا مكان لذلك الرافد

بيننا – الآن – ولكنه سوف يتدلي من فوق، سوف ندركه، هناك، في المسيح، الـــذي فيه يصعد الجميع.

مغفورة لك خطاياك ": هذا الرافد هو، دائما مدان ومحكوم عليه مـــن قبـــل الفكر الديني الجامد، فالمؤسسة الدينية – التي تحتكر الحقيقة المطلقة، من وجهة نظرها – تكفر هذا الرافد، المستتر هنا على الأرض. وصمة الخطيئة والدينونة – من منظـــور أصحاب الدعوة – هي سمة أساسية لأصحاب هذا الرافد وقد ظهرت في كـــثير مـــن الرموز وقد ذكرنا منها: السامرية، مريض بيت حسدا وهذا المفلوج.

أيما أيسر، أن يقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، ام أن يقال: قم واحمـــل سريرك وامش؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا علـــى الأرض أن يغفـــر الخطايا ". قال للمفلوج: " لك أقول: قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك ".(مـــر ٢: ٩ – ١١).– المعني الذي يريد أن يوصله الرب إلى أصحاب الفكر الديني المتعصـــب، الذين صنعوا من أنفسهم قضاة – يدينون الآخر (رافد جهالة الكـــرازة) – هـــو أن: الدينونة التي بها تدينون هذا الآخر، تنبع من صعوبة تخيلكم إمكانية قيام هذا الرافد من سريره وذهابه إلى البيت السماوي، المسيح. هذه هي القضية الأساسية. إدانـــتكم – الحالية – لهذا الرافد – سوف تتلاشي حينما تستعلن المغفرة، في المسيح، حينما يدرك الجميع إمكانية ذهاب هذا الرافد إلى بيته.

سرير المرض، البائس، هو مساحة وجود هذا الرافد، بينكم – هنـــا — يـــا أصحاب " دعوة الكرازة "، ولكن من فوق، ومن طريق لا يخطر على بالكم، سوف يتحرر هذا الرافد من هذه المساحة البائسة، لتصير بيتا، هو المسيح. وبرحيـــل ذلـــك الرافد – من هذا العالم – سوف يختفي هذا الفراش البائس؛سوف يحمله معه.

٧- قائد المئة (مت ٨: ٥- ١٣) و (لو ٧: ١- ١٠):

دخل يسوع كفر ناحوم، فجاء إليه قائد مئة يطلب إليه شفاء غلامه المفلوج، ودار هذا الحوار: - يسوع: " أنا آتي وأشفيه ". - قائد المئة: " لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي، ولكن قل كلمة فيبرأ غلامي ". - يسوع: " لم أجد ولا في إسرائيل إيمانا بمقدار هذا! وأقول لكم: " ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات، أما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية "..- ثم قال لقائد المئة :" اذهب، وكما آمنت ليكن لك ". فبرأ غلامه في تلك الساعة."

انه الرافد الذي لا يستحق أن يدخل السيد تحت سقف بيته، هنا في هذا العالم. لا يستحق أن يحسب ككنيسة، هنا في هذا العالم. ولكن فقط بواسطة الكلمة - الذي يتعامل معه مباشرة - يبرأ غلامه وينضم للكنيسة. وبحسب إنجيل لوقا، فان شيوخ اليهود قد شهدوا له :" انه مستحق أن يفعل له هذا لأنه يحب أمتنا وهو بني لنا المجمع " (لو ٧: ٤ و ٥). - هذا الرافد يبني لنا الكنيسة بتكميله لنا كجسد واحد.

٨- المرأة الكنعانية (مت ١٥: ٢١ - ٢٨) و (مر ٧: ٢٤ - ٣٠):

"" لم أرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " ... " ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ". وبحسب مرقس: " دعي البنين أولاً يشبعون، لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب "

هذا الخطاب القاسي هو سيف الخطاب الديني المشهر في وجه الآخر، المغاير، الضال (الكلاب). سجل الرب هذا الموقف تجاه تلك الأممية، التي تصرخ طالبة الشفاء

لابنتها: " ارحمني، يا سيد، يا بن داود! ابنتي مجنونة جداً ". وبحسب مرقس: " كـان بابنتها روح نجس ".

كانت تلك العبارات كاشفة لنا وللآخر بان واحد. فمن المنظور السلبي قـد أظهرت بشاعة عنصرية فكرنا، المحتكر للحقيقة، المحتكر للبنوة (الشـركة في الابـن المتجسد)، كشفت نظرة أصحاب " دعوة الكرازة " تجاه الآخر (رافد الجهالة). ومن المنظور الايجابي قد أظهرت أصالة الآخر، في سعيه – الطبيعي – نحو المسيح، في سعيه نحو الشركة في " خبز البنين ": " فقالت: "نعم، يا سيد! والكلاب أيضاً تأكـل مـن الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها ". وبحسب مرقس: " فأجابت وقالت له: نعم، يا سيد! والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين ".

ما نعتبرهم " كلاب "، هم شركاؤنا، في " خبز البنين ". هم معنا، في نفـس البيت، قد لا يجلسون معنا – الآن في هذا العالم – على المائدة، ولكن ما أن يـنقض هذا البيت الأرضي، حتى ونكتشف شركتنا جميعا في البيت الواحد، والمائدة الواحدة، والخبز الواحد (الجسد الواحد للمسيح الرب).

" قال لها: " يا امرأة، عظيم إيمانك! ليكن لك كما تريدين " وبحسب مرقس: " فقال لها: " لأجل هذه الكلمة، اذهبي. قد خرج الشيطان من ابنتك "

عظمة إيمان رافد جهالة الكرازة تكمن في كونه إيمان " الفتات الصائر خبزا "، إيمان " حبة الحنطة الصائرة شجرة عظيمة "، إيمان " بذار الكلمة – الحال في الناموس الطبيعي – الصائرة شركة في الكرمة، الكلمة المتجسد ".

٩- الغلام الذي لم يقدر التلاميذ على شفائه (مت ١٧: ١٤ – ٢١)، (مر ٩: ١٤ – ٢٩) و (لو ٩: ٣٧ – ٤٢).

ينزل الرب – مع الخاصة، من تلاميذه (بطرس ويعقوب ويوحنا) – من على " جبل " التجلي، إلى الجمع، حيث باقي التلاميذ يتحاورون مع الكتبة بخصوص عدم مقدرة التلاميذ على إبراء غلام به روح نجس :

" فأجاب وقال لهم: أيها الجيل غير المؤمن، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ قدموه إليَّ". (مر٩: ١٩).

رافد الجهالة، لا سبيل إلى تحققه – ككنيسة – إلاَّ من خلال التعامل المباشر للكلمة المتجسد مع أصحاب هذا الرافد، في الوقت الذي تظل فيه " دعوة الكرازة "محيَّدة تماما، حيال هذا الأمر.

" فقال له يسوع: " إن كنت تستطيع أن تؤمن. كل شيء مستطاع للمؤمن ". فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: " أومن يا سيد، فأعن عدم إيماني ". (مر ٩: ٢٣ و ٢٤).

ما هذه الصيغة المتناقضة، لإيمان هذا الرافد؟ هل هو إيمان، أم عدم إيمان؟. – " أومن يا سيد "، تعني الإيمان بواسطة الكلمة الحامل للناموس الطبيعي لأصحاب هذا الرافد. و" أعن عدم إيماني "، تشير إلى نظرة أصحاب " دعوة الكرازة " لهذا الرافد؛ فهو– من وجهة نظرهم — لا ينتمي لحظيرة الإيمان.

"" ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: " لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ " فقال لهم يسوع: " لعدم إيمانكم. فالحق أقول لكم: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم ".(مت١٧: ١٩ و ٢٠).

يا رافد دعوة الكرازة، أنتم لا تقدرون أن تبرئوا ذلك الآخر، ولا تقدرون أن تدركوا وجوده، لعدم إيمانكم. فلو كان لكم الإيمان بأن ذلك الرافد يستطيع – من خلال تنامي بذار الكلمة الحال فيه، طبيعيا، أن يشترك معكم في الكنيسة الممتلئة – لكان هذا الأمر بمثابة الانتقال من تمركزكم – حول ذاتكم – إلى مركزية المسيح، لكان هذا الأمر بمثابة تصعيد قمة جبل وعيكم، بذاتكم (الوعي الحالي) نحو قمة امتلاء المسيح، المستوعب للآخر، المرفوض.فحتى في المعجزة التاريخية، المصرية – التي تحمل مضمون التفسير الحرفي لنقل الجبل – كان الجبل يرتفع عن الأرض، كانت قمته تتصاعد.

ان الإيمان الذي يفتقده أصحاب " دعوة الكرازة – الآن – هو الإيمان بانتقال الجبل من هنا إلى هناك، من قمة مركزية الذات إلى قمة المسيح، من قمة مركزية "دعوة الكرازة" إلى قمة ملء المسيح، التي تستوعب الجميع، حتى "رافد جهالة الكرازة"!.

الجزء رقم (٢)

١٠- المجدلية (يو ٢٠: ١- ١٨).

تعد شخصية مريم المجدلية – كما وردت في هذا الشاهد من إنجيل يوحنا – نموذجا فريداً يجسد صورة رافد " جهالة الكرازة " :

أولا: وجها الوعي، لرافد الجهالة :

١- طبيعة " وعي" أصحاب " دعوة الكرازة "، بذلك الرافد، هنا في العالم :

الحديث مع التلميذين :"وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا، والظلام باق".

فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس والي التلميذ الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: " أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه " ".

جاءت مريم لتجد الحجر مرفوعا عن القبر، فينخلع قلبها لتبدو في ذلك الواقع الأليم؛ إذ لم تعد تنتمي إلى "مجرد سيد، ميت، بل أنها أصبحت تنتمي إلى ميت، قد سرقت جثته!. انه الانتماء إلى الوهم المطلق. هذه هي مأساة انتماء أصحاب رافد الجهالة – هنا على الأرض – من وجهة نظر أصحاب دعوة الكرازة.

أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه ": الحديث، هنا يأتي بصيغة "الجمع "، وهو حديث عام لا يحمل أي نسب إلى المتكلم، وذلك بخلاف الصياغة التي وردت بها نفس العبارة، في الحديث مع الملاكين (إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه). العبارة التي نحن بصددها تشير إلى نظرة أصحاب الدعوة تجاه الآخر المرفوض، الذي يتمثل في جميع من هم خارج عن إطار، ومسار دعوة الكرازة، من ديانات وثقافات وعقائد مخالفة؛ فهؤلاء يرون ذلك الآخر، بلا رب، يرونه ينتمي إلى وهم، في الوقت الذي يرون أنفسهم ينمون، بقدر تناميهم في الشهادة لإنجيل دعوتهم؛ فهاهما التلميذان يدخلان إلى القبر وينظران الأكفان والمنديل ويؤمنان ويعودان إلى موضعهما (ككنيسة). وما تزال مريم في جهالتها: " فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر، ورأي فامن، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب: أنه ينبغي أن يقوم من الأموات. فمضي التلميذان إلى موضعهما. أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكي ".

٢- طبيعة " وعي " أصحاب رافد " الجهالة "، بذاته، هنا في العالم.

أ- الحديث مع الملاكين: " " وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعا. فقالا لها :" يا امرأة، لماذا تبكين؟" قالت لهما: " أنهم أخذوا سيدي، ولست أعلم أين وضعوه ".

القبر والملاكان: القبر هو مسكن الموت، هو هذا العالم الذي تغترب فيه الكنيسة. الملاكان هما رافدا الكنيسة المستعلنان هنا، في هذا العالم: الملاك الجالس عند الرأس هو رافد " الراقدين "، الذين أحضرهم الله بيسوع أيضاً معه (١ تس ٤: ١٤)، الذين أتوا في صحبة ومعية " رأس " الكنيسة (الرب يسوع التاريخي، الكلمة المتجسد)، هؤلاء هم الذين افتقدهم الرب، في الجحيم محررا إياهم فقاموا معه، قيام

النائم من غفوته. أما الملاك الجالس عند الرجلين فهو رافد أصحاب " دعوة الكرازة "، رافد " الحاذين "أرجلهم " باستعداد إنجيل السلام (أفس ٦: ١٥). وطقس غسل الرب لأرجل تلاميذه، الذي ينفرد بذكره إنجيل يوحنا (يو ١٣: ٤- ١٧) هو المعادل لطقس عشاء الرب المذكور في باقي الأناجيل. هذا هو الحدث الإفخارستي الذي يسري في مسار الكرازة الرسولية و يتكرس بواسطته وجود رافد " دعوة الكرازة ": " فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالا، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا. الحق الحق أقول لكم: انه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله ".(يو ١٣: ١٤- ١٦).

" لماذا تبكين؟ ": سؤال استنكاري، من الرافدين لأصحاب رافد الجهالة، أولئك الذين يغيب عنهم الوعي بحقيقة وجودهم، ككنيسة.

" أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه.": الحديث شخصي، وبصيغة المتكلم، ويحمل مضمون الانتماء إلى الكنيسة، المجهولة (أخذوا سيدي). هذه هي الجهالة الكاملة بحقيقة الذات، هنا في العالم.

ب- الحديث مع يسوع :" " ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفا، ولم تعلم أنه يسوع. قال لها يسوع: " يا امرأة، لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ " فظنت تلك أنه البستاني، فقالت له: " يا سيد، إن كنت قد حملته فقل لي أين وضعته، وأنا آخذه " ".

فيما يتعامل الكلمة المتجسد – هنا في العالم – مع أصحاب رافد الجهالة – مهيئا إياهم ككنيسة – فهم لا يدركون ذلك، هم – في وعيهم الخاص – يتعاملون مع سيد " ظني " (ظنت أنه البستاني)، هم لا يعلمون من يطلبون.

ثانيا: خصوصية رافد الجهالة :

"" قال لها يسوع: " يا مريم " فالتفتت تلك وقالت له: " ربوني " الذي تفسيره: يا معلم. قال لها يسوع: " لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى الآب ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم والهي وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا "".

" فالتفتت تلك وقالت له: " ربوني ": هذه هي التفاتة " الوعي اليقيني "، بالشركة في المسيح – التي تأتي كثمرة لتعامل الرب مباشرة مع رافد الجهالة، ولتسميته له، ككنيسة (يا مريم) – في مقابل التفاتة "الوعي الظني " التي تسيطر عليه هنا، في هذا العالم، قبل تسميتها ككنيسة (قال لها يسوع: " يا امرأة، ... فظنت تلك أنه البستاني).

لا تلمسيني:

التلامس مع المسيح هو الشركة فيه. ولمسة المجدلية له هي الإفخارستيا الخاصة برافد الجهالة. هي تحقق وجود هذا الرافد ككنيسة. هذه هي الإفخارستيا، المؤجل استعلانها في هذا العالم، لذلك قال لها " لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى الآب ". فحدث الصعود هنا هو حدث انقضائي، هو استعلان صعود الكل، استعلان الكنيسة الكاملة الممتلئة، إلى الآب في ابنه المتجسد. وفقط، حينئذ تستعلن شركة أصحاب رافد الجهالة، في المسيح. حينئذ فقط تستطيع المجدلية أن تلمسه.

أما الصعود، في عبارة " اني أصعد إلى أبي وأبيكم والهي وإلهكم "، فيخص رافد " دعوة الكرازة "، ذلك الذي يحمل خصيصتين أساسيتين: ١- انه حدث يستعلن في الزمن الحاضر " إني أصعد ". ٢ – انه حدث تراكمي :" إلى أبي وأبيكم "، أي أنني كما أصعدت جسدي الخاص إلى أبي، كباكورة، فإنني أصعدكم أيضاً – الآن

- إلى الآب بإشراككم في تلك الباكورة، جاعلا من الآب، الذي هو أبي، بالطبيعة، أبا لكم، بالنعمة. هذه هي الإفخارستيا، المستعلنة الآن بتراكم أصحابها في المسيح، إلى أن يكتمل مجيء رافدهم: " كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ.(١ كو ١١: ٢٦).

الذهاب والمجيء:

" اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم ...فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ ...": قد كنا نتوقع أن يكون السياق هكذا: " اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم ... فذهبت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ ...". ولكننا وجدنا أنفسنا أمام سياق آخر، يحمل حركتين متعاكستين في الاتجاه: حركة الذهاب وحركة المجيء: ذهاب، رافد الجهالة، هنا في العالم، منطلقا من أجواء الموت، وحيث "الظلام باق "، ومجيء ذلك الرافد، لينضم إلى الكنيسة في أجواء القيامة والحياة. " ذهاب "، الذي يبدو فيه رافد الجهالة، ساكنا، محيَّدا، لا وجود له - في الوقت الذي يتكرس وجود أصحاب دعوة الكرازة بحركة دءوبة، متواصلة، آنية " إني أصعد إلى أبي وأبيكم " - ومجيء، حين يستعلن صعود الجميع في الكلمة المتجسد إلى الآب.

المقالة التاسعة

الجزء (٣)

١١- كرنيليوس (أع ١٠).

هناك آلية هامة، لابد أن تسيطر على ذهن شارح النص الكتابي، بصفة عامة، لكي يستطيع أن يسبر أغوار النص وهي تجريد النص من أسر التاريخ. وفي هذا الصدد نقول، انه، بالتأكيد، للنص بعد تاريخي، بل نستطيع أن نقول إن الكتاب المقدس هـو بحق أعظم كتاب تاريخ قد عرفه البشر، ولكن ذلك لا يمثل عمق حقيقة الكتاب.

وفي هذا السياق لابد أن ندرك أن لكل حدث تاريخي، يرصده الكتاب، ولكل شخصية تتجذر فيه، سياقان: سياق تاريخي وسياق رمزي، والأخير هو البعد الرئيس الذي يستهدفه الكتاب؛ فكل من الحدث والشخص يأخذ أهميته من حيث كونه يتلامس مع القضية الأساسية للكتاب وهي حقيقة وجود الكنيسة كجسد للمسيح. ومن هنا لابد للشارح من أن يعي تماما أهمية الفصل بين السياق التاريخي والسياق الرمزي لكل من الحدث والشخص، ذلك الفصل الذي بدونه يصبح من المحال الوصول إلى الرؤية العميقة للنص. هذه الآلية تمثل ركيزة أساسية في دراسة، مثل التي نحن بصددها..و فيما سبق، نجد على سبيل المثال أن مريم المجدلية، في سياقها التاريخي، هي شخصية قد قبلت دعوة الإنجيل وآمنت بالمسيح، بل قد صارت أول مبشر بالقيامة، حتى للتلاميذ أنفسهم، ولكن في سياقها الرمزي قد رأيناها رمزا لرافد " جهالة الكرازة ". أيضا، فيما سبق قد ذكرنا " ابني الرعد "(يعقوب ويوحنا)، وهما

اثنان من التلاميذ الاثني عشر الذين اختارهم الرب "ليكونوا معه " وليفتنوا المسكونة بدعوة الكرازة، ولكننا رأيناهما، في سياقهما الرمزي، يمثلان رافدين آخرين: رافد الراقدين (يعقوب) ورافد الجهالة (يوحنا)، وسنتحدث عن هذه الجزئية، لاحقا. وأيضاً هناك مثل آخر، هام، سوف نتحدث عنه فيما بعد، هو شخصية بطرس الرسول، وهو بالتأكيد تلميذ بارز ورسول عظيم من رسل دعوة الإنجيل، ولكن في سياق رمزية شخصيته نجد أن الأمر يتخطي مجرد دوره التاريخي،كرسول، إلى دوره كرمز لمسار دعوة الكرازة، كاملا.

هكذا يلعب الشخص دورين مختلفين: دوره التاريخي كشخص طبيعي ودوره الرمزي كعنصر بناء في الكنيسة، في جسد المسيح، الذي هو خارج التاريخ.علي أنه يجب أن نؤكد أن الدور الرمزي لا يضيف ولا ينقص شيئا بالنسبة للشخص الطبيعي ولكنه يخرجه من تاريخيته لحساب الكنيسة الممتلئة.

كلمة الله هي بالتأكيد متجذرة في التاريخ ولكن فروعها وأغصانها وثمارها تتموقع خارج التاريخ، في المسيح.

في إطار هذا الطرح نستطيع أن نري شخصية " كرنيليوس "؛ فهو، كما يقدمه سفر الأعمال، يمثل المضمون التاريخي لمصطلح "الأمم ". هو أولئك الذين قبلوا دعوة الإنجيل، من خارج اليهودية، وانضموا إلى مسار دعوة الكرازة، هو الأغلب الأعم من مسيحيي العالم، اليوم. ولكن في السياق الرمزي للشخصية، نري أن كرنيليوس يمثل الأمم بمفهومها المطلق، يمثل رافد " جهالة الكرازة ". وفيما يلي، بعض النقاط التي تدعم هذا الطرح :

١- شهادة الكتاب عنه:

"" هو تقي وخائف الله مع جميع بيته، يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويصلي إلى الله في كل حين. فرأي ظاهرا في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار، ملاكا من الله داخلا إليه وقائلا له: " يا كرنيليوس ". فلما شخص إليه ودخله الخوف، قال: " ماذا يا سيد؟ " فقال له: " صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله." " (أع ١٠: ٢-٤).

إننا نعجب أشد العجب، لهذا الأممي، الذي هو خارج الحظيرة؛ لأي اله هـو خائف وتقي؟. ثم ما معنى أن تقبل عباداته وتصعد تذكارا أمام الله؟. ان دهشتنا مـن الممكن أن تختفي حينما ندرك أن كرنيليوس هو رافد "جهالة الكرازة "، ذلك الرافـد المهيأ بالطبيعة لأن يقبل شركة المسيح، بعيداً عن مسار الكرازة.

٢- استهلالية عظة بطرس:

" ففتح بطرس فاه وقال: " بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أمة، الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده.

الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل."" (أع ١٠: ٣٤ – ٣٦).

إذن القضية هي عدالة الله المطلقة وعدم تمييزه وعدم محاباته لنفر دون آخـر؛ فالكلمة المتجسد، المقبول ربا، لدي أصحاب دعوة الإنجيل، هذا هو " رب الكـل "، هو رب لكل من يتقيه في كل أمة، حتى وان لم تصله دعوة الإنجيل.

٣- عنصرة الأمم (العنصرة الموازية):

" فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور (الكلمات) حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضا.

" لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله. " (أع ١٠: ٤٤ – ٤٦).

الكلمة التي كان يسمعها الحاضرون – وقد حل الروح القدس، بسببها – ليست كلمة بطرس، بل أنها " اللوغوس"؛ فبطرس كان يتكلم بكلمات (ta remata)، كلمات البشارة بالإنجيل. وفي مستهل عظته، قد ذكر بطرس تلك الكلمة (اللوغوس)، حينما قال :" الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل ... هذا هو رب الكل ".

بينما تسري دعوة الكرازة في العالم (بينما يتكلم بطرس)، يحل الروح القدس على كل من في بيت كرنيليوس (بيت رافد الجهالة)، يحل عليهم بفضل تنامي بذار اللوغوس، في ناموسهم الطبيعي.

هذه هي " العنصرة الموازية " التي تحدث بدون أي تدخل – سواء بالمنح أو بالمنع – من قبل مسار دعوة الكرازة :

" فلما ابتدأت أتكلم، حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة. فتذكرت كلام الرب كيف قال: ان يوحنا عمد بماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس. فان كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح، فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله؟ ".

وتتفق معظم الترجمات الانجليزية – بخصوص العبارة الأخيرة – على معني، ذي دلالة: " فان كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية – عندما امنا بالرب يسوع المسيح، فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله؟ ".

أيضاً هناك تعليق لبطرس الرسول – على الحدث – يستحق تعليقا، عليه: " أتري يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا؟ "

ترجمة العبارة ملتبسة بعض الشيء، وإنني أري أن أقرب ترجمة - بالانجليزية – إلى المعني، هي التي وردت في (bible in basic English)، وقد وردت كالتالي :

will any man say that these may not have baptism who have been given the holy spirit as we have?

والمعني، هو: هل يستطيع أحد أن يدعي بأن هؤلاء- الذين قبلوا الروح القدس مثلنا- لم يعتمدوا، بعد؟.

والمعني الأعمق للسؤال الاستنكاري هو: هل يمكننا الادعاء بأن مجرد امتناع الماء – حتى الآن – بالنسبة لهؤلاء الذين قبلوا الروح القدس - مثلنا – يعني امتناع معموديتهم؟.

" وأمر أن يعتمدوا باسم الرب " (أع ١٠: ٤٨).: المعمودية دعوة، تحتمل القبول وتحتمل الرفض، ولا يمكن أن تكون أمرا أو طلبة واجبة النفاذ، وفي الواقع أنني أري بأن "الأمر" – هنا – هو صادر نحو وعي أصحاب دعوة الكرازة بخصوص الآخر (رافد الجهالة)، أمر بقبول الآخر، في اسم الرب يسوع المسيح.

المقارنة بين حدث "العنصرة الموازية " وحدث " يوم الخمسين "، تلقي مزيداً من الضوء :"" فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: " ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟ " فقال لهم بطرس :" توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس ... فقبلوا " كلمته " بفرح، واعتمدوا، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس "".(أع ٢: ٣٧- ٤١).

هذا، إذن هو الترتيب الخاص بدعوة الكرازة: توبة، معمودية على اسم يسوع المسيح ثم قبول عطية الروح القدس.

أما فيما يخص رافد الجهالة فلا يأتي الترتيب هكذا – على مستوي تراكم الوعي – بل نستطيع أن نرصد واحدية الحدث :

" فان كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا...فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله؟ ...إذا أعطي الله الأمم أيضاً التوبة للحياة " (أع ١١ :١٧و١٨).

العنصرة الموازية هي موهبة التوبة، للحياة لأصحاب رافد الجهالة. هي موهبة العودة إلى الكنيسة الممتلئة، إلى المسيح. هي الحدث الذي لا يتقاطع، بأي حال من الأحوال مع مسار دعوة الكرازة.

٤– ملاءة بطرس:

"" فرأي السماء مفتوحة، وإناءً نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض. وكان فيها كل دواب الأرض والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت: " قم يا بطرس، اذبح وكل ". فقال بطرس: كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئا دنسا أو نجسا ". فصار إليه أيضاً صوت ثانية: " ما طهره الله لا تدنسه أنت " وكان هذا على ثلاثة مرات، ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء "".(أع ١٠: ١١ – ١٦).

الأكل هو الشركة. وسر الشركة، الذي يكرس وجود الكنيسة، هو سر المأكل الحق. ملاءة بطرس – النازلة، الصاعدة، من والي السماء – هي الكنيسة الممتلئة، التي تجمعها الملائكة من الأربع رياح الأرض.

لابد لبطرس (أصحاب دعوة الكرازة) أن يعي شركة الآخر معه، في المسيح: " وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما انه دنس أو نجس " (أع ١٠: ٢٨).

المقالة العاشرة

شخصية بطرس، ورمزية رافد "دعوة الكرازة"

كيف ينبغي لنا أن نفهم قول الر ب لبطرس :" أنت بطرس، وعلـــي هـــذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوي عليها. وأعطيك مفـــاتيح ملكـــوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات.وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات " (مت ١٦: ١٨ و ١٩).؟

هل ينبغي لنا أن نفهم أن بطرس قد أخذ مفاتيح الملكوت، معه ورحل عـــن عالمنا منذ ألفي عام!؟. هل أخذ بطرس معه سلطان الحل والربط وتركنا منـــذ ذلـــك الزمن؟.

نفس السؤال ينسحب على قول الرب لتلاميذه – في عشية يوم قيامته، حينما "" نفخ وقال لهم: " اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمســـكتم خطاياه أمسكت " (يو ٢٠: ٢٢).

هل أخذ التلاميذ معهم سلطان المغفرة، ورحلوا عن عالمنا؟.

أم ينبغي لنا أن نتبنى رؤية أصحاب الفكر الفريسي، الجديد، فنختزل القضية في سلطان خاص تحصل عليه فئة معينة، دونا عن الجميع؟.

بالتأكيد، الإجابة هي أن بطرس – التلميذ الأبرز بين التلاميذ – هو قمة هرم الرمزية لرافد " دعوة الكرازة ". وتتجلي حقيقة هذه الإجابة من خلال مدلول إجابة

بطرس، ذاته عل سؤال الرب: " وأنتم، من تقولون إني أنا؟" فأجاب سمعان بطرس وقال: " أنت هو المسيح ابن الله الحي "(مت ١٦: ١٥ و ١٦).

إجابة بطرس – الصحيحة – هي إجابة الجميع، إجابة أصحاب دعوة الكرازة، هؤلاء الذين قد أعلن لهم الآب – الذي في السماوات – ذلك، (مت ١٦: ١٧). هذه الإجابة هي إعلان الإنجيل العامل في مسار الكرازة.

المسيح، الصخرة، التي تبني عليها الكنيسة هو محور وعي أصحاب رافد دعوة الكرازة. وفيما تنطلق دعوة الكرازة – هنا على الأرض – فان جسد المسيح يمتد، في الذين يقبلون الدعوة. وهذا الجسد الممتد هو الكفارة الذي فيه تتغطي البشرية الميتة، بحياة الكلمة المتجسد. لذلك فان امتداد ذلك الجسد هو امتداد للمغفرة، في الذين قبلوه، من أصحاب الدعوة، وعليه فمن الطبيعي أن يخاطبهم قائلا: " من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت ".

جسد المسيح الممتد، في الذين قبلوا دعوة الكرازة هو هيكل الله الذي يسكنه روح الله، لذلك قال لهم: " اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له..". فحدث قبول الروح القدس هو حدث المغفرة، ذاته.أيضا، المستهدف الذي يوصي الرب بقبوله، هنا، هو جسده، هو نفس مضمون خطاب الرب لأصحاب رافد الدعوة حينما يقول لهم: " خذوا (اقبلوا = نفس الفعل المترجم خذوا) كلوا. هذا هو جسدي.(مت ٢٦: ٢٦).

امتداد جسد المسيح – في الذين يقبلون دعوة الكرازة – هو امتداد لملكوت السماوات؛ فالأخير– الذي ينطلق من هنا، من الأرض – هو الكنيسة الممتلئة الكائنة في المسيح، لذلك فالرب يبشر رافد الدعوة قائلا :"أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ".وهي المفاتيح الخاصة به؛ فهو مازال مسافرا، منطلقا نحو ذلك الهدف ولكنه يعي ويتيقن أن ملكوت السموات هو مقصده، و أن الولوج إليه بات محسوما، في المسيح.

رافد دعوة الكرازة هو رافد " الوعي ". هو الرافد الذي يتميز – عن الرافدين الآخرين – بوعيه – هنا على الأرض – فيما يخص سريان المغفرة، فيما يخص امتداد ملكوت السماوات، فيما يخص حقيقة ذاته، ككنيسة.

القضية، إذن هي تمايز الوعي – الذي لرافد الكرازة – وليست تمتع فئة معينة بسلطان خاص.

والمشكلة التي تؤدي إلى شرح خاطئ – لعبارات "الحل والربط " – تنجم من غياب إدراك حقيقة الكنيسة الكاملة، و بالتالي غياب إدراك موقع أصحاب الدعوة (المسيحيين)، من هذه الكنيسة؛ فاختزال الكنيسة في رافد "دعوة الكرازة " يسقط تماما من إدراكنا مفهوم " تمايز وعي رافد الدعوة "؛ إذ قد أسقطنا الآخر من حسابنا، وبالتالي فحينما نتصدى بالشرح، لتلك العبارات، فإننا مضطرون أن نتخيل نمطا آخرا من التمايز، وبالطبع سوف نضطر إلى تبني نوع من التمايز الداخلي (داخل إطار الدعوة)، وتحدث الطامة الكبرى حينما نتخيل أن هذا التمايز، الذي توحي به العبارات هو " تمايز السلطة ".

نحن مضطرون – لجهلنا بحقيقة الكنيسة – أن نتخيل تمايز فئة، من بيننا، بسلطة "الحل والربط ". بينما، واقع الحق الإنجيلي هو أن السلطان، الوحيد – الذي منح للبشر – في المسيح – قد منح للكل " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ".(يو ١: ١٢).

المفهوم الواسع للمغفرة:

تسري حركة المغفرة حيث جسد الكفارة (المسيح)، والمسيح ليس حكرا على أصحاب رافد دعوة الكرازة، بل هو ممتد إلى الكنيسة الممتلئة، التي يصب فيها، أيضا، رافدا :الراقدين والجهالة، وان كانت الوصية الصائرة إلى أصحاب الدعوة هي

:" اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له،..."، فان للوصية امتداد آخرا، خارج حدود الدعوة؛ ففي الصلاة الربانية (صلاة رافد الدعوة)، نجد أن للمغفرة بعداً أوسع وأشمل. فبينما يتوحد جميع أبناء الكرازة في صوت واحد مخاطبين أباهم السماوي، نجدهم يطلبون قائلين: " اغفر لنا ذنوبنا (ديوننا) كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين (للمديونين) إلينا (مت ٦ :١٢)، وبحسب لوقا :" واغفر لنا خطايانا (tas amartias) كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين (للمديونين) إلينا (لو ١١ :٣).

يجب أن نلاحظ أننا هنا بصدد تبادلية للمغفرة، تتخطى رافد الدعوة؛ فلسان حاله هو " كما نغفر نحن أيضاً "، إذن من يغفر لهم، هنا، هم خارج إطار الدعوة، هم الآخر غير المسيحي؛ فنحن لسنا نطلب مغفرة "بينية " (داخل مسار الدعوة)، لأن سياق الصلاة هو طلبة لرافد الدعوة مجتمعا.

هذه هي المغفرة الشاملة التي تلتئم بها الكنيسة، الممتلئة. هذه هي المغفرة التي يتم فيها الاستيفاء المتبادل للدين؛ فكل رافد هو مديون للآخر بقدر ما يكمل كيانه، بقدر ما يجعله مسيحا ممتلئا، بقدر ما يجعله كنيسة كاملة.

الرؤية البانورامية لحركة المغفرة نجدها في هذا النص: " الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وأقول لكم أيضا: إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات، لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي (في اسمي) فهناك أكون في وسطهم." (مت ١٨: ١٨ - ٢٠).

هذا هو تدرج استعلان المغفرة في الكنيسة الممتلئة؛ فليست القضية هي فقط مجرد الحل والربط - هنا على الأرض - بالنسبة لأصحاب الدعوة، بل هي إعطاء المسيح للآخر، لأنه بالفعل، قد وهب المسيح للعالم كله :" ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا فلا يقضي عليكم. أعطوا تعطوا، كيلا جيداً ملبداً مهزوزا فائضاً يعطون في

أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم." (لــو ٦: ٣٧ و ٣٨). المسيح هو "الكيل ". هو المقياس وبينما يدرك أصحاب الدعوة، هذه الحقيقة – حينما يلتئم وجودهم مع الآخر – فهم يكتشفون أن إعطائهم المسيح للآخر، هو ذاته حدث حصولهم على كيانهم الممتلئ، أي الكنيسة بروافدها الثلاثة. هم يكتشفون أن عطاءهم هو الأخذ بعينه؛ ففيما يمتلئ المسيح، هو يمتلئ لحساب الكل، وفيما يستقبل المســيح جددا، إلى ذاته – من خارج إطار الكرازة – فهو يستقبلهم في أحضان أولئك الــذين قد أتوا من داخل ذلك الإطار.

المسيح هو المجمع (synagogue) الذي تجتمع فيه ثلاثية الكنيسة (هناك أكون في وسطهم)؛ " فحيثما تكن، الجثة فهناك تجتمع النسور (مت٢٤ :٢٨).

" أو ثلاثة ": هذا هو الرافد الثالث المجهول بالنسبة لنا، والمجهول بالنسبة لذاته، بان واحد. هذا هو الرافد الذي أسقط تماما – هنا – من وعي الكنيسة. قد نــدرك – هنا على الأرض – اتفاق رافدين (الدعوة والراقدين)، في اســتهدافهما للمســيح، ولكن الرافد الثالث مغيب تماما، عنا، ولكننا سوف ندرك اجتماعه معنا، وتساويه بنا، في المسيح.لذلك استخدم الرب الحرف " أو " ليستعيد إلى وعينا ذلك الذي قد أسقط عنه.

في نفس سياق (مت ١٨)، جاء سؤال بطرس (رافد الدعوة): " يا رب، كم مرة يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ " قال له يسوع: " لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات. " (مــت ١٨: ٢١ و ٢٢).إذن هذه هي المغفرة في مفهومها الواسع الذي يقبل الآخر ويلتئم معه، في المسيح.

رمزية شخصية بطرس:

١- شخصية بطرس - التي تبدو متأرجحة، كما ترصدها الأناجيل - هي رمز لأصحاب رافد الدعوة. تتأرجح شخصية بطرس بين الشك والإيمان. هذه الحالة هي الخاصية التي تميز رافد الكرازة، ذلك الرافد الذي ينطلق إلى الكنيسة الممتلئة في رحلة متدرجة، يتزايد فيها وعيه ويتنامى إيمانه، في حدث تراكمي يستوعب حياته على الأرض.

٢- بطرس، صياد السمك - الذي قال له يسوع :" لا تخف، من الآن تكون تصطاد الناس (مت ٥: ١٠)- هو رمز لرافد الدعوة، الذي يجتذب إلى وعيه، إلى شبكته - هنا على الأرض - شريحة، تصب في المسيح.

في حياة بطرس، المهنية - التي ترصد الأناجيل مواقفا منها - يحدث اختراقان، بحضور الرب، حيث يصطاد كمية عظيمة من السمك بعد ليل عقيم. يحدث هذا في: (لو ٥: ١ - ١٠) و (يو ٢٠: ١ - ١١).

حدثان، عظيمان يثمران ثلاثة سفن مليئة بالسمك: اثنان منهما في الحدث الأول، حيث سفينة بطرس وسفينة ابني زبدي، شريكي بطرس، وواحدة في الحدث الثاني، حيث سفينة بطرس وحده.

في الحدث الأول :" امسكوا سمكا كثيرا جداً فصارت شبكتهم تتخرق ... وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق..في وسط دهشة الجميع ". وفي الحدث الثاني :" صعد بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكا كبيرا، مئة وثلاثا وخمسين ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة ".

السفن الثلاثة الممتلئة هي الثلاثة روافد التي تملأ الكنيسة: سفينتا الحدث الأول هما رافدا الراقدين والجهالة؛ هاتان السفينتان اللتان توشكان على الغرق؛ فرافد الراقدين هو رافد الذين ماتوا وسجنوا في الجحيم. ورافد الجهالة هو رافد المحكوم

عليهم من قبل أصحاب الدعوة، هنا على الأرض. كلاهما يقبع خارج بـؤرة وعـي الكنيسة الحاضرة. ولكن في الكلمة المتجسد يتحقق وجودهما ككنيسة، لينضـما إلى السفينة الثالثة (سفينة دعوة الكرازة، سفينة بطرس)، تلك التي لم تتخرق شبكتها و لم تتعرض للغرق.

تمتلئ السفينتان في وسط دهشة الجميع؛ حيث أن امتلاءهما يأتي خارجا عـن السياق المتوقع، من قبل أصحاب الدعوة، بينما يخاطب الرب بطرس: " لا تخف، مـن الآن تكون تصطاد الناس " أي: إن لك يا بطرس سفينة ثالثة هي ما تتوقعه، وهي مـا لا يدهشك، تلك التي تمتلئ من صيدك – هنا على الأرض – من أبناء الكرازة.

يبدو بطرس في مشهد السفينة الثالثة – في لحظة إدراكه لوجـود الـرب – عريانا، فيتزر بثوبه، ويلقي بنفسه في البحر... لكنك يا بطرس سوف لا يستتر عريك الحاضر إلاَّ حينما تلتئم سفينتك مع مثيلتيها. فقط في المسيح يتغطي رافـد الـدعوة بمكملي كيانه: رافد الراقدين ورافد الجهالة.

المقالة الحادية عشر

رافد الراقدين و مفهوم نزول المسيح إلى الجحيم

أولا: معجزات إقامة الموتى ورمزية رافد الراقدين:

لدينا، في الإنجيل الأربعة، ثلاثة معجزات لإقامة الموتى: ١- إقامة لعازر، ولها مضمون، رمزي،عام بخصوص رافد الراقدين، بشقيه. ٢- إقامة ابنة يايرس، وهي رمز جزئي لرافد الراقدين، ويمثل الراقدين من أناس الله، الذين كان لهم علاقة الناموس والأنبياء. ٣- إقامة ابن أرملة نايين، وهي رمز جزئي لرافد الراقدين، ويمثل الراقدين الذين كانوا بلا ناموس وبلا أنبياء.

١- إقامة لعازر:

لعازر هو النموذج العام لرافد الراقدين، الذين، وان كانوا قد ماتوا وفنت صورة وجودهم، إلاّ أنه بمجرد تجسد الكلمة، قد بعثوا من موتهم، فيكون موتهم كرقاد النوم، لذلك قد أطلق عليهم، الراقدين :" لعازر حبيبنا قد نام. لكني أذهب لأوقظه ". فقال تلاميذه: " يا سيد، إن كان قد نام فهو يشفي ". وكان يسوع يقول عن موته، وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم.فقال لهم يسوع حينئذ علانية: " لعازر مات."(يو ١١: ١١- ١٤).

رافد الراقدين هو أحد شقين للكنيسة الكاملة. الشق الأول هو شق الأحياء، الذين لن يرقدوا، بل بخلع عتيقهم، سيخطفون إلى المسيح :"قال لها (لمرثي) يسوع :"

أنا هو القيامة والحياة. من امن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيا وامن بي فلن يموت إلى الأبد. (يو ١١: ٢٥ و ٢٦).

بكي يسوع (يو ١١: ٣٥): مات القدماء، بحكم طبيعتهم، ولكن بظهـــور الكلمة في الجسد - في الرب يسوع التاريخي - اكتست الطبيعة البشرية بحياة الكلمة، وحدثت لها الوقاية الأبدية، من الموت، لذلك فانه بحضور يسوع - ذلك " الذي، في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه مـــن الموت، وسمع له من أجل تقواه،. "(عب ٥ :٧) - تم استدعاء هؤلاء الراقدين مـــن رقادهم، وكما سمع له، في جسده الخاص، سمع له أيضـــاً في هـــؤلاء الراقـــدين، وفي الآخرين،الأحياء،أيضا: " فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا، ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: " أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني ". ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: " لعازر، هلم خارجا ".(يو ١١: ٤١- ٤٣).

٢- إقامة ابنة يايرس.(مت ٩: ١٨ - ٢٦)، (مر ٥: ٢١ - ٤٢) و (لو ٨: ٤٠- ٥٦).

يايرس هو رئيس للمجمع، وإقامة ابنته من الموت، رمز لكنيسة العهد القديم، رمز للذين أمنوا بالمسيح، من بعيد، ولكنهم ماتوا، بحكم الطبيعة، ولأجل رجـــائهم، كان موقمم مجرد رقاد :" لا تبكوا. لم تمت لكنها نائمة، فضحكوا عليه، عارفين أنهـــا ماتت.(لو ٨: ٥٣).

تتداخل مع معجزة إقامة ابنة يايرس، معجزة أخري، وهي معجزة شفاء نازفة الدم، وهي أيضاً رمز للقديسين القدماء. نازفة الدم كان لها اثنتا عشر سنة، في المرض، وابنة يايرس كانت ابنة اثنتي عشرة سنة (مر ٥: ٤٢). والرقم "اثنا عشر " رمز لمعية

الرب، رمز لأناس الله. القديسون القدماء هم تلك المرأة النازفة الدم والتي بتلامسها مع الكلمة المتجسد، لحظة تجسده، شفيت وتوقف نزيفها، وهكذا لم يكن نزيفها للموت، ولم يكن موقم إلاَّ رقادا.

٣- إقامة ابن أرملة نايين.(لو ٧: ١١- ١٧).

" ميت محمول، ابن وحيد لأمه، وهي أرملة "(لو ٧: ١٢): هذا هو شق الراقدين، من الأمم، بمفهومها التاريخي، أي الشعوب الوثنية التي لم يكن لها، على مستوي الوعي، علاقة كتابية أو ناموسية بالله، ولكن الله يحقق كنيسته في الكل. الأم أرملة.أي بلا زوج. على شاكلة رافد الجهالة، في العهد الجديد (السامرية)، أي ليس لها علاقة حاضرة بالله. وهي ليس لها زوج بسبب ترملها. ويجب أن نرصد ترابط رد فعل السامرية (رافد الجهالة) ورد الفعل لهذه المعجزة: ١- قالت له المرأة (السامرية) :" يا سيد، أري أنك نبي " (يو ٤: ١٩). ٢- فأخذ الجمع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه.(لو ٧: ١٦).

فيما يفتقد الله شعبه، من القديسين الراقدين من قبل تجسده، هو أيضاً يفتقد شعبا كان بلا ناموس ولا شريعة. من هؤلاء و من أولئك يجتذب الله رافد الراقدين لكي ما ينضم إليه لحظة تجسده. أيضاً يجب أن نرصد أنه كما يفتقد الله - الآن - رافد الجهالة (الذين بلا كارز)، من الأحياء، هو افتقد أيضا، الراقدين الذين كانوا بلا أنبياء؛ فبتزوله إلى الجحيم كرز بنفسه لكل الراقدين،المختارين لينضموا إليه.

وخرج هذا الخبر عنه إلى كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة.(لو ٧: ١٧): هكذا، باجتذابه الراقدين، الذين كانوا بلا ناموس ولا أنبياء - قبل تجسده - يكون المسيح قد امتد في الجميع، فتلك الفئة هي أضعف حلقة من حلقات الكنيسة - من وجهة نظرنا، نحن أبناء الدعوة - وبمجيئها تمتلئ الكنيسة، ويتجلي كمالها. لم

يتركهم الرب في حهالتهم، بل لم يتركهم في موهم، وفيهم قد أتم الاختراق المطلق لكل ما يمكن أن نعتبره عائقا أمام مجيء نفر ما، من البشر إلى المسيح.

ثانياً نزول المسيح إلى الجحيم:

بداية، أود أن أثمن عاليا ما نشر بنفس العنوان لأستاذي الدكتور/ جورج حبيب، في صدر هذا الموقع، وهو في مجمله يدعم توجه هذه الدراسة، لاسيما ما ورد فيها منسوبا للقديس اكليمنضوس.

ولكي ندرك، جيداً مفهوم نزول المسيح إلى الجحيم، لابد لنا من أن نعي ثلاثة قواعد أساسية حاكمة، يؤكدها تراث الآباء، لاسيما أثناسيوس: ١- قاعدة الموت: موت المسيح هو موتنا نحن. ٢- قاعدة القيامة :القيامة هي النتيجة التلقائية، الحتمية للاتحاد بين الكلمة والإنسان في المسيح.٣- قاعدة الشخص: مركز الشخص هو الكلمة الظاهر في الإنسان الجديد، المنتصر على الموت، وهو في نفس الوقت ينسب إليه كل ما يخص العتيق؛ فيقال أن المسيح تألم ومات.

وتطبيقا عمليا لهذه القواعد الثلاثة، نقول بأنه بمجرد حلول الكلمة في أحشاء العذراء، قد ظهر في كوننا إنسان جديد غير قابل للموت، ولكن ذلك الجديد قد ظهر في عالمنا متسربلا بعتيقه -الذي هو عتيقنا - وظل حاملا إياه، ومحتجبا فيه، وظاهرا للعيان كواحد منا، إلى أن اجتاز فيه الألم والموت. وبالرغم من أن كيان القيامة وعدم الموت هو حقيقة التجسد - وواقع "الجديد "الكائن منذ بداية الحدث - إلاَّ أن ذلك الجديد قد ظل سرا مخفيا خلف الحجاب العتيق، إلى أن أعلن في فجر الأحد بعد خلع العتيق.

عتيق يسوع هو فاسد بالطبيعة لأنه هو عتيقنا نحن، وهو قد ظل لابسا إيـــاه حتى ما أسلمه إلى مصيره الطبيعي، الذي هو مصيرنا، وعندما تم فيه ذلـــك، أعلنـــت القيامة المحتجبة خلف الحجاب المخلوع.

موتنا، هو انشطار صورتنا الإنسانية بمفارقة النفس للجسد. والـــنفس هــــي الطاقة المحركة، الواعية، المستعلنة في الجسد. الجسد هو جسد نفساني. و بمفارقة النفس للجسد يتهاوي الشطران نحو العدم؛ فلا وجود لجسد بلا نفس ولا وجود لنفس بـــلا جسد. هذا هو موتنا الذي يكتمل بموت الكون كله وهبوطه في الجحيم، فتفني حـــتى بقايا تحلل أجسادنا.هذا هو الموت الذي اجتازه المسيح. على أننا يجب أن نـــدرك أن الموت لم يستطع أن يلتهم من كيان يسوع غير ما يستطيع أن يلتهم من كياننا. والفرق الأساسي والجوهري هو أنه حينما نلتقي الموت –بطبيعتنا، العارية من النعمة – فانه لا يتبقي لنا شيء. يلتهم الموت كل شيء بخصوص الإنسان الطبيعي، اما فيمـــا يخـــص يسوع، فقد التهم الموت حجاب عتيقه، ليتبقي الإنسان الجديد المنتصر على المـــوت، ذلك المستتر خلف الحجاب.

إن إعلان قيامة الرب في فجر الأحد ليس إعلانا عن تحول العتيق إلى الجديد، بل هو كشف للجديد بعد زوال الحجاب، بعد زوال العتيق.

إن قيامة الرب لم تنشأ في القبر، لأن القيامة هي دليل الاتحاد وثمرتـــه، ولأن لاهوته لم يفارق ناسوته – لحظة واحده ولا طرفة عين – فان القيامة لم تكن إلاَّ حدثا متلازما ومتزامنا للتجسد منذ أول لحظة له في أحشاء العذراء.

ماذا حدث لجسد يسوع في القبر؟

النظرية السائدة، والتي تتبني أن جسد يسوع قد تحول، في القبر، إلى كيـــان منتصر على الموت، إلى جسد ممجد (جسد القيامة) هي نظرية خاطئة تماما؛ وذلـــك

لأنها تفترض أن كيان الكلمة المتجسد قد ظل قابلا للموت إلى أن دخل القبر وهناك قد أنشأت له القيامة والنصرة على الموت. أيضاً تفترض أن كيان الكلمة المتجسد قد ظل غير ممجد إلى أن دخل القبر، وهناك فقط قد تمجد!. فان لم يكن هذا الفكر هو عمق النسطورية، فما هي النسطورية، إذن؟!.

ثم، ماذا يعني أن موت المسيح هو انشطار كيانه إلى نفس وجسد، مع بقاء كل من الشطرين متحداً باللاهوت، إلى أن يتحدا ثانية فتتم القيامة؟. أليس هذا أيضاً هو مضمون النسطورية، التي ادعت مفهوم مصاحبة اللاهوت للناسوت، تلك المصاحبة التي تتطور إلى التدخل في مسار الأحداث، لتعيد المسيح إلى النموذج الذي نعتقده؟.

ثم، كيف تخيل انشطار كيان يسوع، كاملا، إلى شطرين؟ ماذا يعني انقسام من توحد فيه الجميع، حينما اتحد بطبيعتنا؟

إنني لست أعتقد بأصالة انتساب مثل هذا الفكر – بهذه الصيغة – إلى العظيم أثناسيوس. هذا هو رأيي الشخصي.

تنجم المشكلة التي، التي تنبت مثل هذا الفكر، من عثرتين أساسيتين :

١- عثرة الزمن: كل شيء، بخصوص التدبير الإلهي للخلاص، قد تم في التجسد. وحدث التجسد، منذ أول لحظة له، قد تجاوز الزمن، وما نراه من أحداث في حياة يسوع على الأرض – من الميلاد، المعمودية، الصليب، الموت، القيامة والصعود – ما هي إلاَّ استعلانات لجوهر النعمة المعطاة للبشر في التجسد؛ ففي التجسد، ميلاد الإنسان الجديد. وفي التجسد، تصطبغ الطبيعة البشرية –المائتة –بالحياة الإلهية. وفي التجسد يمسح البشر بالروح القدس.و في التجسد يصلب الوجود العتيق. وفي التجسد قام الإنسان من موته. وفي التجسد صعدت البشرية إلى الآب بشركة الابن في الروح القدس.في التجسد حدث كل ذلك لجديد يسوع الذي صار رأس الإنسانية الجديد ة.

لذلك ونحن نرصد مشهد الصليب – متبوعا بمشهد القيامة – يجب أن لا نعثر ونتخيل أن القيامة حدث يعقب الصليب في الزمن. يجب أن لا نتخيل أن كيان الكلمة المتجسد قد ظل مفتقرا إلى القيامة، والنصرة على الموت، إلى أن مات ودفن. فهذا يطيح بسر التجسد، من جذوره.

٢- عثرة الكيان: كيان الكلمة المتجسد لا يختزل في حجاب عتيقه الظاهر، الذي قبل الألم والموت ودخل القبر. جوهر الكيان هو الإنسان الجديد، الإنسان الداخلي، رأس الإنسانية الجديدة. هذا هو الذي قيل عنه :" لن تدع قدوسك يري فساداً ". وهو حينما حل في طبيعتنا – محققا هذا الجديد – لم يهلك العتيق، بل قد ظل محتجبا فيه كرداء، وفيه قد قبل كل ما لنا من تعب وألم وموت. وهو حينما أسلمه للموت، كان قد أسلمه لموتنا نحن، في أفظع صوره، أي العدم والهلاك لشطري الكيان (الجسد والنفس).

إنني أشعر أن الوعي اللاهوتي لم يرق بعد إلى إدراك عمق حقيقة موت المسيح. هذا العمق يبدو صادما لروح القطيع، السائدة من خلال لاهوت شعبي. يجب علينا أن ندرك، بدهشة بالغة أن المسيح، ليس فقط، مات موتنا الحاضر، بل انه قد أكمل موتنا. ان ما حدث في قبر يسوع – قبل إزاحة الحجر – هو موت الكون كله،أي العدم. ان عتيق يسوع كان محرقة حقيقية؛ فقد انفجرت كل ذرة فيه، وانحل كل عنصر فيه، وتم فيه ما سوف يتم في لحظة نهاية الكون. انه حينما قال " قد أكمل "، قد كان يقصدها بالفعل. قد أكمل كل شيء، وحتى مفهوم الموت، قد أكمله، فقد اجتازه كما لم تجتازه أي خليقة من قبله. ولكن ما أن تلاشي عتيق يسوع – كما سوف تتلاشي الخليقة كلها – حتى حان الوقت لإظهار الجديد الخفي.

الجحيم:

عمق الجحيم هو العدم والفناء. الجحيم ليس مكان الموت بل هو مجال الموت. لذلك فان مفهوم الجحيم يتسع ليشمل كل ما هو مبسوط عليه سلطان الجحيم، أي كل ما هو منحدر نحو الجحيم. الكون كله منحدر نحو الجحيم، لأن " السماوات والأرض الكائنة الآن، مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة للنار إلى يوم الدين و هلاك الناس الفجار." (٢ بط ٣: ٧).

لذلك فكل الخليقة مستوعبة في مجال الجحيم. والآن، كيف نستطيع أن نعبر عن الكلمة الذي بتجسد ه قد صار جزءا من الخليقة؟ أليس تجسد الكلمة هو اختراق لمجال الجحيم؟. أليس المسيح هو الكلمة المتجسد، النازل إلى الجحيم؟.

ان الكلمة حينما حل في جسد ينتمي إلى طبيعتنا، هو بالفعل، قد حل في مجال الجحيم، وبحلوله هذا قد أحدث اختراقا في هذا المجال، بظهور جديده المنتصر على الموت (المنتصر على الجحيم)، ولكنه بالرغم من ذلك ظل مرتديا ذلك الجزء من مجال الجحيم، أي عتيقه، إلى أن أسلمه لمصيره الطبيعي الذي هو مصيرنا، أسلمه للعدم، وحينئذ فقط تلامس الكلمة المتجسد مع قاع الجحيم، و لم يستطع الجحيم أن يغتصب منه أكثر من ردائه العتيق، مثلما لم تستطع امرأة فوطيفار أن تأخذ من يوسف أكثر من ثوبه. حينئذ فقط " بالموت ديس الموت ". حينئذ فقط تعالت، في الكون، صرخة أنشودة النصر " الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدا." (٢ كو ٥: ١٧). الأشياء العتيقة لم تتحول إلى جديدة لأنه " لا يقدر لحم ودم أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد." (١ كو ١٥: ٥٠).الأشياء العتيقة هي مقصية ومستبعدة ومتروكة من الشركة في مجد الإلوهة الأبدي، وهذه هي ما عبرت عنها صرخة عتيق يسوع :" الهي، الهي لماذا تركتني."

وحتى نظرية تحول العتيق إلى جديد هي التفاف حول المضمون الصحيح، فتحول شيء إلى شيء آخر يعني، بالتأكيد، فناء الصورة الأولي وإيجاد الصورة الثانية، من العدم، و تصبح محصلة ضم الصورتين، معا، ما نرصده من تحول أو تغير. إذن العتيق قد زال بالفعل، ولكن المأساة تصبح واقعنا، حينما نحصر حدث التغير، في داخل القبر المغلق، بعيداً عن الحدث الجوهري، الذي هو التجسد.

الكرازة للذين في السجن:

بتجسد الكلمة قد زرعت باكورة إنسانيتنا الجديدة، في طبيعتنا المنحدرة إلى الجحيم، وفي هذا التدبير يجب أن نميز بين طريقين قد أعدا لتحرير كل الذين في مجال الجحيم: الطريق الأول هو الصليب المؤدي للقيامة؛ فالصليب قد صار طريقنا – نحن الأحياء – إلى الشركة في الرب القائم، المنتصر. الصليب هو أداة الموت التي أبادت الموت؛ فقد كان لابد للمنحدرين إلى الجحيم أن يتوقف انحدارهم ثم تنعكس حركتهم صعود ا إلى الآب في المسيح. وهذا ما يتم بموتنا مع المسيح. شركة موته هي شركة قيامته، وبإماتة العتيق مع المسيح تتكرس فينا حياته.والطريق الثاني هو القيامة المباشرة، وهذا هو الطريق الخاص بالراقدين السابقين للتجسد، أولئك الذين هيأهم الله – في فترة وجودهم على الأرض – ليكونوا شركاء فيه، عند تجسده. هؤلاء قد ماتوا بالفعل وتلاشت صورة وجودهم وأسروا في الجحيم السفلي، الذي هو مصير الكون كله. هم يحتاجون الرب المنتصر على الموت حتى ما يشركهم، مباشرة في نصرته الكائنة منذ أول لحظة لتجسده. هم لا يسلكون طريق موت الصليب – كما نسلك نحن– إذ لا معني لموتهم، فقد ماتوا بالفعل ويعوزهم أن يستحضروا من القاع، عندما تستحضر الباكورة الرب يسوع، وهذا ما حدث بالتجسد " الراقدون سيحضرهم الله بيسوع أيضاً معه " (١تس ٤: ٤).

عبارة رسالة بطرس الأولي:

" فان المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماتا في الجسد ولكن محيي في الروح، الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن." (١بط ٣: ١٨ و ١٩).

الكيان الجديد ليسوع، الكائن بفضل اتحاد الكلمة بالبشر، هو الذي قيل عنه " لن تدع قدوسك يري فسادا."(انظر أع ١٣: ٣٣ –٣٧). وقيل عنه أيضاً أنه " سمع له من أجل تقواه." (عب ٥: ٧). هذا هو الذي يشير إليه الر سول، هنا، بتعبير :" محيي في الروح ". هذا هو ادم الأخير، باكورة حياة الجميع ومصدرها، الذي " صار روحا محييا."(١كو ١٥: ٤٥). هذا هو مضمون آخر كلمات الرب يسوع على الصليب (بحسب لوقا)، حينما " نادي بصوت عظيم وقال :" يا أبتاه في يديك أستودع روحي."(لو ٢٣: ٤٦)، فقد صار جديده، الروحي أول كيان بشري يستودع لدي الآب، وفيه يتم تبني الجميع.أما الحجاب العتيق، فيشير اليع بعبارة :" مماتا في الجسد.. الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن ".

يجب أن نميز، في هذا النص بين طرفين: "من يكرز " و " في من تتم الكرازة". يجب أن ندرك جيداً مدلول الإشارة في تعبير " الذي فيه "؛ فالكارز هو جديد يسوع، المحيى في الروح. والذي تتم فيه الكرازة هو الحجاب العتيق، الممات في الجسد. القضية ليست وهما أو أسطورة، والجحيم ليس مكانا ولكنه الرداء العتيق، الذي هو كياننا الطبيعي، هذا هو الذي ارتدي فيه المسيح موتنا وفناءنا الطبيعي، وفيه قد كان مخترقا للجحيم وحينما اجتازه –و لم يستطع الجحيم أن يقتنص منه غير ذلك الحجاب– أعلن عن جديده المستور، فأعلن الانتصار، ليس فقط لجديده الخاص بل لكل المسبيين في الجحيم، الذين هم على شاكلة ذلك العتيق.

والنقطة الجوهرية، هنا هي: ان كنا نؤمن بأن عتيق يسوع هو لحم ودم من طبيعتنا، فعلينا أن نؤمن بأن مصيره هو نفس مصيرنا،أي العدم.وبانشطار عتيقه إلى شطريه (النفس والجسد) - وبمواراة الجسد في القبر - تكون قد مضت الأشياء العتيقة، ليبقى الكل جديدا.

في القبر لم يتحلل عتيق يسوع، كما نتحلل نحن الآن - ليس لأنه القدوس الذي لا يري فساداً بل لأن تحلل الأجساد ما هو إلاَّ مرحلة من مراحل الموت، تلك التي تكتمل بالعدم، والفناء، وهذا هو ما اجتازه - منتصرا - جديد يسوع. ففي قبر يسوع نزل الكلمة المتجسد إلى قاع الجحيم حيث نهاية الخليقة بانحلال عناصرها وفنائها.

ملاحظة على تمايز الأناجيل بخصوص كلمات يسوع على الصليب.

+ إنجيل لوقا، المرموز له بوجه إنسان، يتبني لسان حال الإنسان الجديد، الباكورة، الذي فيه يتم تبني الجميع من قبل الآب :

١- يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم، لا يعلمون ماذا يفعلون. (لو ٢٣: ٣٤).

٢- الحق أقول لك: انك اليوم تكون معي في الفردوس.(لو ٢٣: ٤٣).

٣- يا أبتاه في يديك أستودع روحي.(لو ٢٣: ٤٦).

+ إنجيلا متى و مرقس يتبنيان لسان حال العتيق :

٤- ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: " إيلي، إيلي، لما شبقتني؟ " أي الهي، الهي لماذا تركتني.(مت ٢٧: ٤٦) و (مر ١٥: ٣٤).

+ إنجيل يوحنا، النسر المحلق، يقدم كلمات، الانسلاخ الإرادي من كل انتماءات العتيق، نحو الجديد:

٥- قال لأمه: " يا امرأة، هوذا ابنك، ثم قال للتلميذ: " هوذا أمك " (يو ١٩: ٢٦و ٢٧).

٦- بعد هذا رأي يسوع أن كل شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب قال: " أنا عطشان ".(يو ١٩: ٢٨).

٧- فلما أخذ يسوع الخل قال: " قد أكمل " ونكس رأسه وأسلم الروح.(يـــو ١٩: ٣٠).

خلاصة:

في القبر قد اجتاز الكلمة المتجسد أعماق الجحيم، ليخرج منتصرا بجديـــده، الكائن فيه منذ أول لحظة لتجسده. هذا هو رأس كياننا. هذا هـــو رأس الكنيســـة، والذي باختراقه لمجال الجحيم، قد جذب إليه الجميع: أولا، بإنقاذه للأموات الهـــالكين الراقدين في الأعماق، وثانيا، باختطافه للأحياء المنحدرين نحو تلك الأعمـــاق، :" لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، ســـوف يـــترل مـــن الســـماء والأموات في المسيح سيقومون أولا. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهـــم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب (١تـــس ٤: ١٦ و ١٧). وبذلك يكون قد أكمل جسده. بذلك يكون قد أكمل الكنيسة.

يسعدني جداً تعليق استاذي الدكتور / جورج حبيب - سلبا أو إيجابا - على هـــذه المقالة، تحديدا.

تكملة المقالة الحادية عشر

النزول إلى الجحيم (ملاحظات لغوية)

أولاً: ثلاثة نصوص هامة:

١- الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكنا أن يمسك منــه. لأن داود يقول فيه: كنت أري الرب أمامي في كل حين، أنه عن يميني، لكي لا أتزعزع. لذلك سر قلبي وتهلل لساني. حتى جسدي (sarx) أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي (psyche) في الهاوية (hades) ولا تدع قدوسك (تقيــك، hosios) يــري فسادا.(أع ٢: ٢٤ – ٢٧).

٢- الذي في أيام جسده (sarx)، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضــرعات للقادر أن يخلصه من الموت، و سمع له من أجل تقواه (eulabeia)، مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي، مــدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق.(عب ٥: ٧- ١٠).

٣- فان المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمــة، لكــي يقربنا إلى الله، مماتا في الجسد (sarx) ولكن محيي في الروح (pneuma)، الــذي فيــه أيضاً ذهب فكرز للأرواح (pneuma) التي في السجن،.(١بط ٣ :١٨ و ١٩).

ثانياً: الملاحظات:

١- الجحيم:

لدينا – في يونانية العهد الجديد – ثلاثة كلمات تخص المصير السلبي للإنسان، وتحمل معني، عالم الموتى. ترد كلمتان، من الثلاثة، في السبعينية وهما: hades و abyssos والكلمتان بمعني الهاوية، الجحيم. والكلمة الثالثة، التي لا ترد في السبعينية هي: geenna بمعني جهنم، ,وبحسب القاموس الموسوعي للعهد الجديد (فيرلين د. فيربروج – نسخة الكترونية بموقع الكلمة) تأتي الكلمة من الآرامية gehinnam، وفي العبرية ge hinnom، = وادي ابن (أبناء) هنوم، وهو الوادي الذي كانت تقدم فيه الذبائح البشرية المتمثلة في التضحية بطفل (٢ مل ١٦: ٣، ٢١: ٦)، وقد فكر يوشيا في تنجيسه لكي لا يستخدم بعد في تقديم الأضاحي البشرية (٢مل ٢٣: ١٠)، وسيكون أيضاً مكان قضاء الله (أر ٧: ٣٢، ١٩ :٧)، والكلمة بمرور الوقت أصبحت مكان العقاب لتتطابق مع الأفكار التي حول hades.

والكلمات الثلاثة تحمل نفس المضمون، في النهاية، ولكن هناك بعدين، من الممكن أن يطرحا تمييزاً وحداً فاصلاً لكل كلمة. البعد الأول هو المفهوم الواسع للجحيم، الذي سبق أن تحدثنا عنه، وفيه قلنا أن الكون الحاضر، في جملته، هو مجال للجحيم؛ فالخليقة كلها منحدرة بطبيعتها نحو مصيرها العدمي، أي الجحيم. والبعد الثاني هو مدلول الاستخدام الكتابي – لاسيما العهد الجديد – لهذه الكلمات. والأمر العجيب هو التطابق المدهش بين البعدين في وضع الخطوط الفاصلة بين الكلمات الثلاثة :

فالاسم، hades = هادس، هو اسم الجحيم في حالة الهبوط (الانحدار): فكفر ناحوم المرتفعة ستهبط إلى "هادس "(مت ١١: ٢٣) و (لو ١٠: ١٥)،

والكنيسة الحاضرة – في منحدر الكون – سوف لا تقوي عليها أبواب "هـــادس "(مت ٦: ١٨)، والغني المنحدر إلى "هادس "رفع عينيه وهو في العذاب ورأي لعازر من بعيد في حضن إبراهيم (لو ١٦ :٢٣). وحينما يلبس كياننا الفاسد –المنحدر نحــو الجحيم – عدم الفساد، ويلبس المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبــة: " ابتلع الموت إلى غلبة " أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا " هادس "؟(١كــو ١٥: ٥٤, ٥٥). والرب المنتصر على الموت – الذي يعطي نصرته إلى جميع المنضمين اليه، محررا إياهم من انحدارهم نحو الجحيم – يقال،أن له مفاتيح الهاوية (هادس)والموت (رؤ ١: ١٨).وعندما يعتق، الذين في المسيح من انحدارهم نحو عمق الجحيم، حيــث الموت الأبدي (الموت الثاني)، يقال أن الموت والهاوية (هادس) قد طرحا في بحــيرة النار (رؤ ٢٠: ١٤).

و الاسم، abyssos هو اسم الجحيم في حالة الصعود، والإفلات، منه: ففــي الرسالة إلى رومية: لا تقل في قلبك.. "من يهبط إلى abyssos؟ أي ليصعد المسيح من الأموات. (رو ١٠: ٧).وفي الرؤيا نجد: الوحش الصاعد، مــن abyssos، في:(رؤ ١١: ٧) و (رؤ ١٧: ٨)، وأيضاً نجد الشيطان مقيداً ومطروحا في abyssos وقــد أغلق عليه حتى لا يصعد ويضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف سنة، في(رؤ ٢٠: ٢و ٣)، ونجد أيضاً الدخان، الصاعد من abyssos، في (رؤ ٩: ١و ٢).

و الاسم، geenna هو اسم الجحيم في حالة الاستقرار الأبــدي، في حالــة الهلاك في النار الأبدية التي لا تطفأ: (انظر: مت ٥: ٢٢، ٢٩، ٣٠)،(مــت ١٠: ٢٨)، (مت ١٨: ٩)، (مت ٢٣: ١٥، ٣٣) و (مــر ٩: ٤٣، ٤٥، ٤٧) و (لو ١٢: ٥) و (يع ٣: ٦).

٢- الجسد والنفس:

لا يعرف اللاهوت المسيحي الثلاثية اليونانية، القديمة: الجسد والروح والنفس، والتي تفترض، مسبقا وجود الروح البشرية الخالدة بالطبيعة، بالإضافة إلى النفس والجسد. فالطبيعة البشرية لها وجهان (شقان) فقط: الجسد والنفس. وفي يونانية العهد الجديد نجد تمييزا دقيقا بين مستويين مختلفين لكل وجه من هذين الوجهين. إذن، لدينا أربعة مفردات لتوصيف الكيان الإنساني، من خلال مستويين :

+ المستوي الأول: هو مستوي، يحمل المفهوم العام للطبيعة البشرية، ممثلا في الكلمتين:

١- sarx، ساركس، وهي الطبيعة البشرية التي هي من لحم ودم، والكلمة لا تعني الجسد الظاهر، فقط،بل تستوعب الطبيعة كاملة، بدون شخصنة؛ فالكلمة صار جسداً (sarx) (يو ١: ١٤) أي،صار بشرا. "ساركس "، تعني الكيان البشري كاملا: اسكب من روحي على كل " ساركس " (أع ٢: ١٧)، وحتى عندما يعطي الرب طبيعته، الإنسانية الجديدة، للبشر، يعبر عن ذلك قائلا: جسدي (ساركس) مأكل حق.(يو ٦: ٥٥).

٢- psyche: النفس، وتعني الحياة الإنسانية بصفة عامة؛ فقد صار ادم نفسا حية (١كو ١٥: ١٥). وتستخدم الكلمة لتدل على الكيان البشري، كاملا: لتخضع كل نفس للسلاطين (رو ١٣: ١)، وعندما يحصي عدد البشر، فنحن بصدد إحصاء للنفوس، كما في (اع ٢: ٤١)، والحديث عن خلاص البشر هو حديث عن خلاص النفوس، كما في (١بط ١: ٩).

إذن: كل من المفردتين، (psyche , sarx)، تعني الكيان الحي، الظاهر، كطبيعة بشرية.

+ المستوي الثاني: مستوي الشخصنة (الشخص البشري)، ممثلا في الكلمتين :

١- soma: الجسد، وتعني الشخص، كما في: - شركة جسد المسيح.(١كـــو ١٠: ١٦).- ونحن الكثيرين جسد واحد في المسيح.(رو ١٢: ٥). الكنيسة الـــتي هـــي جسده.(أف ٢: ١٦). وهو حيبما أعطي ذاته، لكي ما يجتمع فيه الكل، في شخص واحد، قال: خذوا، كلوا. هذا هو جسدي (سوما) (مت ٢٦: ٢٦). خبز واحد جسد (سوما) واحد.(١كو ١٠: ١٧).

٢- pneuma: الروح، وهي المعادل، الشخصي، لكلمة (soma)؛ فالجسد (سوما) بدون روح (pneuma) ميت.(يع ٢ :٢٦).والروح ليست مفهومـــا عامـــا مثـــل psyche فهي تحمل معني الشخص والوعي والذات: فلا يفحص أعماق الإنســـان إلاَّ روح الإنسان الساكن فيه (١كو ٢: ١١). والروح (pneuma) هـــي الشـــخص الانساني المخاطب من قبل النعمة، حيث القدرات الإنسانية الذاتية؛ فالروح هي الـــتي تخلص في يوم الرب (١كو ٥: ٥)، حتي، الصلاة، هي بالروح (١ كو ١٤: ١٥). والعبادة هي بالروح (رو ١: ٩). لذلك فان النعمة تستهدف الـــروح (pneuma) لتجددها: تتجددوا بروح ذهنكم (أف ٤: ٢٣).

وهنا، نستطيع أن نميز بين الكيان النفسي، العتيق، والكيان الروحي الجديـــد، في المسيح. فالأول هو جسد نفساني (soma psychikon)، والثاني هو جسد روحاني (pneumatikon soma). (انظر، ١كو: ٤٤ - ٥٠). نستطيع أن ندرك أن الإنسان الجديد، في المسيح هو شخص، بالمفهوم الحقيقي لكلمة شخص، لأنه الشخص الثابت في كيان شخص المسيح، ذاته، وذلك بخلاف الإنسان العتيق، الشخص النفسي، الزائل بحكم طبيعته؛ فالمولود من " الساركس " هو " ساركس " والمولود من الروح (الروح القدس) هو روح (pneuma). (يو ٣: ٦). المولود من "الساركس " هـــو مجـــرد طبيعة بشرية،أما المولود من الروح القدس هو شخص لأنه مولود من شخص الـــروح القدس، الذي يؤقنم (يشخصن) وجوده، في المسيح.

إذن: كل من المفردتين (soma، pneuma)، تعني الطبيعة البشرية المشخصة.

٣- التقوي:

المعني العميق للكلمة، من المنظور اللاهوتي، هو الوقاية من المـــوت والهـــلاك الطبيعي، ولدينا في يونانية العهد الجديد - بخصوص النصوص التي نحـــن بصـــددها - كلمتان لتوصيف هذا المعني، وذلك من خلال منظورين :

+ المنظور الأول: الوقاية السلبية، أي الوقاية بالمنع والانفصال عن الهـــلاك، والكلمـــة المستخدمة هي eulabeia والفعل هو eulabeomai ويعني: يحترز أو يتحفظ، والفعـــل استخدم في السبعينية كما في (تث ٢: ٤). وفي العهد الجديد كما في :" بالإيمـــان نوح لما أوحي إليه عن أمور لم تر بعد خاف (احترز) فبني فلكا لخلاص بيته، فيه دان العالم وصار وارثا للبر الذي حسب الإيمان."(عب ١١: ٧). وكما في " لذلك ونحن قابلون ملكوتا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوي (eulabeia) لأن إلهنا نار آكلة."(عب ١٢: ٢٨).

+ المنظور الثاني: الوقاية الايجابية، الوقاية بالمنح، بالتغطية، بارتداء الإنسان الجديد، غير القابل للموت، والكلمة المستخدمة هي: hosiotes: تقوي، و التقي هو :hosios.

"، أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة (hosiotes) الحق."(أف ٤: ٢٢ - ٢٤).

" وأما هذا فمن أجل أنه يبقي إلى الأبد، له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقـــدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين " يتقدمون به "إلى الله، ...لأنه كان يليق بنا رئـــيس كهنة مثل هذا قدوس (hosios) بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلي من السماوات."(عب ٧: ٢٤ - ٢٦).

ثالثاً: "التعليق":

عندما نجد أن الكلمات المستخدمة في النصوص – التي نحن بصددها – هي: sarx , psyche، الدالة على الطبيعة البشرية في مفهومها العام، فماذا يعني هذا؟.

عندما يقول –: جسدي (sarx) يسكن على الرجاء لأنك لن تترك نفسي (psyche) في الهاوية (hades) ولا تدع تقيك (hosios) يري فساداً – فان المقصود هو أن الطبيعة البشرية – في المسيح (الكيان كله، ظاهره وباطنه)– إنما تنسحب عليها النصرة على الموت، وليس العتيق (الظاهر) هو المقصود. فالكيان الإنساني، التقي، بفضل الشركة في حياة الكلمة هو مخترق للجحيم، حتى وان كان نازلا إليه،محتجبا في الرداء العتيق. هذا الكيان هو ما عبر عنه الرسول قائلا: بفضل تقواه (eulabeia)، قد سمع له.

هو إذن، ممات في الجسد (sarx)، فقد افترش الموت على كيانه، وقبله في طبيعته التي هي طبيعتنا. ولكن هذه هي نصف الحقيقة، فالخبر السار هو أن الحياة، التي له بفضل كونه جسد الكلمة، قد أظهرته ك " محيي في الروح "، قد أظهرته شخصا إنسانيا جديدا، هو ادم الجديد، وهذا ما انفرش على طبيعتنا، مثلما انفرش موتنا على طبيعته. وهو عندما كان نازلا إلى الجحيم (hades)، لم يستطع الجحيم أن يأخذ منه غير ما يأخذ مننا،أي الحجاب العتيق،

ادم الأخير، المحيي في الروح، هو الإنسان الروحاني، الذي فيه نالت البشرية الوقاية من داء الموت، وقد صار هذا الشخص رأسا للتقوى، ومنه تنساب الوقاية، من داء الموت، إلى جميع الذين ينضمون إليه ليكملوا جسده، أي الكنيسة. وحينما تنحل الأجساد العتيقة لهؤلاء المنضمين إلى الكيان الواقي، المسيح، فهي تترك أرواحا، هي شخوص حقيقية، هي أعضاء متمايزة في جسد (soma) المسيح. لن يصر الجميع مجرد طبائع بشرية حية (sarx أو psyche)، بل شخوصا روحانية (pneuma) تضمها

علاقة عضوية داخل شخص روحاني كاثوليكي يجمع الكل. هذا هو هيكل الله الذي يسكنه روح الله. هذا هو الكنيسة التي رأسها هـــو رأس التقـــوى، الـــرب يســـوع الناصري، الكلمة المتجسد.

عندما يقول " لا تدع تقيك يري فساداً "، فهو لم يكن يقصد الجسد الظاهر، جسد (soma) يسوع (مت ٢٧: ٥٨)، بل كان يتحدث عن الكيان البشري كاملا (sarx أو psyche) ويجب أن نلاحظ أن مضمون عبارة " جسدي سيســـكن علـــى رجاء "، يكافئ مضمون عبارة " لن تترك نفسي في الهاوية "؛ فالطبيعة البشرية الساكنة على الرجاء هي الطبيعة البشرية غير المتروكة لهبوطها، حتى لا تستقر في الجحيم.

و بعد:

بنهاية هذه المقالة، أظن أنني حاولت، جاهداً أن أضـــع الأســـاس للمفهـــوم الشامل للكنيسة،أي الكنيسة التي تمتلئ من ثلاثة روافد: رافد الراقدين (رافد عشـــرة الكرازة)، رافد الأمم، بالمفهوم المطلق لمفردة "أمم "(رافد جهالة الكرازة) و رافـــد المسيحيين (رافد دعوة الكرازة). وأرجو بنعمة الرب، في مرحلة لاحقة، أن أتمكـــن من الكشف العميق لثلاثية تركيب الكنيسة - هذه- كبنية للعهد الجديد، لاسيما سفر الرؤيا. وحتى تحين هذه الفرصة، فإنني أضع كل ما سبق من مقالات - في هذا الجـــزء من الدراسة - تحت تصرف إدارة الموقع، لتقوم بنشره على الموقع، كيفما يروق لهـــا. وفي هذا الصدد، فإنني أتقدم لإدارة الموقع بجزيل الشكر لحسن استقبالها لمـــا أكتـــب، راجيا الرب يسوع المسيح أن يوفق كل من له تعب في هذا الموقع وأن يعوض الجميع أجرا صالحا سمائيا. وأرجو من الرب أيضا، السلامة والصحة ودوام العطاء لأســـتاذي الدكتور / جورج حبيب.

دمتم في المسيح.

تعليق الدكتور جورج حبيب بباوي

الأخ الكريم:مجدي داود

طلبت مني أن أعلق على ما تفضلت به، وهذا سلوك مسيحي نادر في جيل يندفع نحو أعماق التعصب والجهل في سرعة ولا يريد حتى التروي والانتظار والتفكير بهدوء.

أهنئك على الأسلوب الراقي والرؤية الأرثوذكسية التي تعلو على الفكر السائد، وهذا نعمة من الله، تعمل فينا، وأحياناً لا ندركها إلاَّ بعد أن يوجه غيرنا النظر إليها.

يهمني بشكل خاص الفقرة الخاصة تحت عنوان "ماذا حدث لجسد يسوع في القبر" وهذه الفقرة لا يمكن فصلها عن فقرة أخري تحت عنوان "نزول المسيح إلى الجحيم". كلاهما معاً رؤية واحدة تحتاج إلى بعض الإيضاح منك ومني.

أولاً: لقد عشت فترة الشباب والرجولة في جيل آخر، ربما أنت لم تعاصره بحكم السن وزمان الميلاد. ولدي ملاحظة واحدة على هذا الجيل وعلي جيل الأنبا شنودة بل أعود إلى كتاب الأنبا بطرس السندمنتي "القول الصحيح في آلام المسيح" والذي أرجو أن ينال اهتمامك، أي إلى القرن ١٣، هذه الفترة الطويلة تؤكد عدم استيعاب قادتنا الصالحين لتجسد الابن الكلمة له المجد. إن الإيمان بالتجسد على النحو الذي شرحه بكفاية القديس أثناسيوس يستدعي مراجعة شاملة لكل ما نقول:

١- أخذ الابن الكلمة جسداً قابلاً للموت (٩: ١). جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا (٨: ٤)، جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر (٩: ٢).

٢- وحضور الكلمة المتجسد (١٨: ٢) "معطياً الحياة له، فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كله في نفس الوقت" (٢: ٢).

٣- التجسد كان تحولاً حقيقياً وليس مجرد خيال بل هو تحول: الفاسد إلى عدم فساد (٢٠: ١) المائت إلى غير مائت لأن ربنا يسوع المسيح هو الحياة ذاتها (٢٠: ١) وفي عبارة واحدة "فالجسد لكونه من طبيعة البشر ذاتها لأنه كان جسداً بشرياً... لأنه كان قابلاً للموت... غير انه بفضل اتحاده بالكلمة فإنه لم يعد خاضعاً للفساد حسب طبيعته، بل بسبب الكلمة الله الذي حل فيه فإن الفساد لم يلحق به... الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به (٢٠: ٣-٥).

ثانياً: لم تكن مواجهة الرب للموت على مستوي إرادة من هو "الحياة" (٢٢: ٣) فقط بل كان لا بد أن يتم الموت فعلاً في جسد الرب "قبل في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٣) على مستوي أو حسب مستوي الإرادة "قدم جسده للموت" (٢٥: ٦) وهو ما أكده الرب يسوع نفسه (يوحنا ١٠: ١٨)، ولذلك يقول الرسول "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠)، ولذلك يستخدم القديس أثناسيوس "هيكل الحياة" (٣١: ٤ – ٤٤: ٥ – ٤٥: ١ – ٤٧: ٢ – ٥٤: ٣). لكن حسب الواقع نفسه، أي الحقيقة الإنسانية كما هي في الزمان والتاريخ كان موت الصليب حقيقة حدثت في الواقع نفسه وعلي الجلجثة. والقديس أثناسيوس يكتب في دقة:

"الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به كان الموت حتمياً كان لابد أن يتم الموت عن الجميع" (٢٠: ٥) فقد حدث لقاء، أو حسب تعبير أثناسيوس نفسه مصارعه بين من هو الحياة والموت، وهذا التشبيه جدير بالملاحظة: "وكما أن المصارع النبيل، العظيم في المهارة والشجاعة، لا يختار خصومه بنفسه..

هكذا الحال أيضاً مع ربنا يسوع المسيح حياة الكل، فإنه لم يختر لجسده موتاً معينـــاً، لكي لا يبدو وكأنه يخشي شكلاً معيناً من أشكال الموت، لأن المـــوت الـــذي قبلـــه واحتمله على الصليب قد أوقعه عليه الآخرون... لكن المسيح أباد هذا الموت، فآمن به الجميع أنه هو الحياة، الذي به تتم إبادة سلطان الموت كلية" (٢٤: ٣).

الموت على الصليب "لابد أن يسبق القيامة" (٢٣: ١)، ولم يهرب الرب من الموت بل تعقب الموت حتى يقضي عليه" (٢٢: ١) فقد "انتظر إلى أن يأتيـــه المـــوت ليبيده" (٢٢: ٢). وبكل دقة يذكر معلمنا العظيم "لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٣). ويبرز معلمنا العظيم في عبارة موجزة ذلك الصـــراع بين من هو الحياة "لأنه الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة" (٢١: ٥).

ثالثاً: إذا كان موت الصليب قد تم فعلاً في جسد الرب، فإن هذا الموت ليس كما يُشاع الآن – بكل أسف – هو موت الخطاة – موت العقوبة – مـــوت دفـــع الثمن – هذه كلها هي "زبالة العصر الوسيط الأوروبي" التي وفدت مع الإرساليات.. ولعلك واحد من القلائل جداً الذين لمسوا **الجانب الكوني لموت الرب يسوع**. هـــذا يؤكده القديس أثناسيوس في أكثر من موضع، إذ يكتب "لأن الجنس البشري كـــان سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع قد جاء ليضع حداً للموت" (٩: ٤). وفي الرسالة إلى الوثنيين "إن الله رأي أن كل الطبيعة التي خلقت عرضة للـــزوال وللانحلال حسب قانون خلقتها (من العدم) ولكي لا تنتهي إلى هذه النهاية، ولكي لا يُباد الكون ويعود إلى العدم الذي جاء منه، فإنه خلق كل الأشـــياء بكلمتـــه الأزلي وأعطي الخليقة وجوداً وكياناً وبالإضافة إلى ذلك لم يشأن أن يطوح بـــه في عاصـــفة (العدم) وهو الاتجاه الذي تسلكه الطبيعة لئلا تتلاشي من الوجود مرة أخري.." (٤١: ٣). فقد رد الكلمة للكون مساره لأنه هو قائد الخليقة حسب صلاحه الذاتي الـــذي يقود الكل إلى الحياة (تجسد الكلمة ٤٣: ٧).

هنا يبقي أمامنا سؤال هام لا بد من الإجابة عليه أولاً من التاريخ كما دون في الأناجيل أن الرب يسوع مات فعلاً وأسلم الروح (يوحنا ١٩: ٣٠) وانفصال الروح الإنسانية أو النفس عن الجسد هو موت حقيقي حدث للرب نفسه على الصليب. هذا لا علاقة له بالنسطورية بالمرة. وثانياً من شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس السكندري الذي قاوم النسطورية إذ يشرح "اسلم الروح".

"لقد أعلن، "لقد كمل" أي أن الساعة التي دعي فيها لكي يبشر للأرواح التي في الجحيم. فقد افتقدهم لكي يكون رب الأحياء والأموات ولأجلنا واجه الموت نفسه وجاز تحت ما هو عام لكل البشر، فعل هذا حسب الجسد رغم انه الله وهو الحياة ذاتها، لكي يسبي الجحيم ويعيد الحياة للطبيعة الإنسانية وحقاً يتم "صار بكر الراقدين" و"البكر من الأموات" حسب الكتب. ونكس رأسه وهو ما يحدث لكل الذين يموتون عندما تنحل قوي الجسد وترتخي المفاصل، لأن الروح أو النفس التي اتحدت بالجسد وتعطي له الحياة قد فارقته. وعندما استخدم الإنجيلي تعبير "أسلم الروح فهو تعبير لا يختلف لفظاً عما هو شائع لأن عامة الناس يستخدمون تعبيراً مشابهاً "لقد انطفأت حياته ومات" ولكن كان الإنجيلي يقصد غاية معينة لأنه بدلاً من أن يقول إنه مات، قال إنه "اسلم *gave up* أي سلّم روحه ليدي الآب حسبما قال هو "يا أبتاه في يديك استودع روحي" (لو ٢٣: ٤٥) ولأجلنا نحن كتب هذا التعبير الخاص الذي يؤيد ما لدينا من رجاء ثابت، لأننا نؤمن أن نفوس القديسين عندما تفارق الجسد الترابي وحسب رحمة الله العظمي تستودع إلى يدي الله الفائق المحبة... وتسرع إلى يدي الله آب الكل لأن المخلص قد أعد لنا هذا الطريق الجديد، لأنه استودع نفسه في يدي أبيه، لكي يكون لنا هذا مرساة نحن الذين نثبت في هذا الإيمان الذي يعطي لنا هذا الرجاء عندما نجوز موت الجسد، فإننا في يدي الله، حقاً، هذا أعظم من أن نبقي في الجسد ولذلك قال بولس الحكيم مؤكداً لنا انه من الأفضل "أن أنطلق وأكون مع

المسيح" (الكتاب ١٢ راجع الترجمة الإنجليزية التي نشرت حديثاً، المجلد الثاني ص ٥٥٥ – ٥٥٦).

نفس أو روح المسيح يسوع ربنا

كانت هرطقة أبوليناريوس – رغم انه كان من أعظم المثقفين من الأساقفة [1] – بمثابة إنذار شديد الوقع على الكنيسة الجامعة لأنها كانت تنكر حقيقة تجسد ابن الله أي أنه إنسان كامل له جسد ونفس أو روح إنسانية. ومدارس الهرطقات جميعاً تدور حول نقطة مركزية واحدة وهي بقاء انفصال الله عن الإنسانية – حتى بعد التجسد. الأرثوذكسية لا تنكر اختلاف الطبيعة الإنسانية وتمايزها عن طبيعة اللاهوت، ولكنها أي الأرثوذكسية تؤكد الإتحاد الذي تميز به تجسد ابن الله، والذي صار يعرف باسم "الاتحاد الأقنومي" وهو تعبير صار العلامة الأساسية التي تفصل بين الأرثوذكسية والنسطورية وغيرها.

لقد حاول بعض السذج أن يتهمني بأنني أعلم باتحاد اقنومي بين المؤمنين والمسيح يسوع ربنا، ولكن لم يجد هؤلاء عبارة أو حتى كلمة واحدة تؤكد مساواة المؤمنين بالرب يسوع الإله المتجسد.

---

(١) أسقف لاودوكية، أعاد صياغة الترجمة السبعينية على نسق أعظم شعراء اليونان بعد أن منع الأمبراطور يوليانوس الجاحد تدريس الآداب اليونانية القديمة في معاهد الكنيسة. العجيب أن كل هراطقة العصور الأولي من الإكليروس – أريوس – ابوليناريوس – نسطور – أوطاخي. و لم يظهر على ساحة التاريخ الكنسي هرطوقي واحد من العلمانيين أو من آباء البرية "لباس الصليب".

أولاً:

إن قراءة دقيقة للمقالات الخمس "ضد تجاديف نسطور" بقلم أسقفنا الكبير كيرلس الأول عمود الدين، وهي كلها مؤسسة أو مبنية على فقرات من عظات نسطور نفسه وردت في فقرات كاملة غير مبتورة، وكتب القديس كيرلس رداً مطولاً عليها. لا يظهر في هذه المقالات الخمس أن انفصال النفس أو الروح الإنسانية للرب عن جسده كان من المآخذ اللاهوتية التي حوكم عليها نسطور. وتستطيع مراجعة هذه المقالات على شبكة المعلومات الانترنت. بكل أسف لم ندرس كيرلس الكبير في العصر الوسيط وفي عصر البابا كيرلس السادس والأنبا شنودة. وكان أبونا متى المسكين هو أول من طلب ترجمة القديس كيرلس إلى العربية. ونشرت أول ترجمة لمقالة "تجسد الابن الوحيد"، ثم "المسيح واحد" وجاءت بعد ذلك الرسائل التي نشرها مركز الآباء، وهي أهم الوثائق التاريخية واللاهوتية التي صدرت تباعاً ابتداء من ١٩٨٧ حتى ١٩٩٥ ثم شرح إنجيل يوحنا وأظن أنه لم يتم نشر كل الشرح، ولكن العظات على إنجيل لوقا كاملة ترجمها ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة – كما سمعت – هكذا يعود إلينا تراثنا بعد أن غاب قرابة ١٣٠٠ سنة. وقد راجعت كل مخطوطات البطريركية ولم أجد إلاَّ شذرات نُقلت عن كتاب لمؤلف سرياني تحت اسم اعتراف الآباء ولدي المتحف البريطاني في لندن أكثر من نسخة. وقد تعذر على تحديد كل عبارات القديس كيرلس لعدم وجود اسم الكتاب الذي نقلت منه هذه العبارات. بالطبع لا يوجد عندي إلاَّ الاعتراف بشجاعة بطاركة الكنيسة الذين عاشوا تحت حكم المماليك – العثمانيين – وذاقوا مع شعب مصر كله حتى المسلمين مرارة الحياة تحت حكم يسحق ويقتل لأتفه الأسباب لأن مصر لم تكن إلاَّ مزرعة تدر "الخراج" والمحاصيل الزراعية لكل من حكم من دمشق أو بغداد أو القسطنطينية.

كان الأمل هو أن نخلق الحوار ونشجع البحث والدراسات دون خوف ودون تهديد أو على الأقل هو أن تتركنا الرئاسة التي أرعبها ما نُشر من دراسات أقول تتركنا لما نحن فيه دون تهديد بقطع المرتب، والمحاكم... الخ ولكن ما حدث معروف وضرب قلب الكنيسة القبطية و لم يكن اعتداء على أشخاص بل محاولة أثيمة لمنع نشر التراث، وهجوماً على أعز ما يملكه الإنسان، الحرية والفكر والإيمان نفسه.

ثانياً:

كلمات النبي أشعياء ٥٣: ١٢ "سكب نفسه ***soul*** للموت".

١- حسب المصطلحات الواردة في العهد القديم نفسه، النفس ***soul*** لها حياة مظهرها المادي أو المنظور هو "الدم" والكلمات الواضحة في (لاويين ١٧: ١١) نفس ***soul*** الجسد هي في الدم" ولذلك منع أكل "الدم" لسببين: الأول لأن الحياة تخص الخالق، والثاني أن أكل الدم كان من عادات وممارسات الشعوب الكنعانية (تث ١٢: ٣٣) ولذلك قتل = سفك الدم (أمثال ١: ١١ – أشعياء ٥٩: ٧) ولا توجد أي غرابة بالمرة في تعبير "اللحم والدم" الذي يطلق على الإنسان ككل؛ لأن هذا يعني اللحم والنفس ***soul*** (راجع عب ٢: ١٤). والنفس تعني الحياة الإنسانية ككل وهي كتابياً وعبرانياً لا تستبعد اللحم أو الجسد بالمرة. فلا وجود للإنسان كإنسان حي بدون الجسد. وهكذا يجب أن نفهم ان الرب يسوع قابل الموت في نفسه ***soul*** الإنسانية التي ذُبحت على الصليب. وعندما يذكر سفر الأعمال عبارة الرسول "سفك دم استفانوس" فهو يعني موته شهيداً. وعلي نفس النسق "دم المسيح" هو دم الحمل (١بطرس ١: ١٩) الذي سفك وقدم بالروح القدس (عب ٩: ١٣ حسب قراءة آباء الإسكندرية لتعبير "الروح الأزلي" (في عب ٩: ١٣).

٢- إذا كان ما ذكرناه الآن صحيحاً حسب شهادة الأسفار، فكيف سكب الرب دمه أو نفسه *soul* للموت حسب شهادة مقاوم النسطورية الأول والأخير وهو القديس كيرلس عمود الدين؟

الرسالة الأولي فقرات ٣٥-٣٦-٣٧-٣٨

"هو الكلمة في جسده الخاص به الذي أخذه من امرأة، وقد سلم جسده للموت في الوقت المعين دون أن يعاني هو نفسه (الموت) في طبيعته الخاصة به لأنه هو الحياة ومعطي الحياة.. هو أول من قام من جميع الأموات لأنه مات عن الجميع، لأنه يشتري بدمه الخاص الذين تحت السماء ولكي يربح لله الآب كل الذين في العالم" هذه الحقيقة يعلنها النبي المغبوط أشعياء قائلاً بالروح "لأنه سلم نفسه *soul* للموت.." ٥٣ : ١٢).

وقبل هذه الفقرة يسأل القديس كيرلس في نفس الرسالة فقرة ٣٥ "نحن على يقين أن الكلمة صار جسداً... وهو أيضاً وضع حياته لأجلنا... رغم انه الحياة حسب الطبيعة كإله. فكيف إذن يُقال إن الحياة تموت؟ وبمعاناته للموت في جسده الخاص أظهر أنه هو الحياة لأنه أحيا جسده ثانية" لقد قبل الرب الموت وسكب نفسه *soul* أو سُفك دمه. ولذلك في نفس الرسالة فقرة ٣٧ "سلم حياته الخاصة به لأجل الجميع وسلم جسده لكي يخضع للموت فترة قصيرة — حسب التدبير — ولكنه هو الحياة فقد أبطل الموت دون أن يعاني الموت في طبيعته (كإله) ولكنه بالموت قضي على الفساد وأبطل قوة الموت من أجساد الجميع. لأنه كما أننا جميعنا "نموت في آدم، هكذا أيضاً سنُحيا جميعاً في المسيح" (١كو ١٥: ٢٢)؛ لأنه لو لم يكن قد تألم كإنسان لأجلنا، فإنه لم يكن قد صنع كإله ما هو لخلاصنا. لأنه — قد قيل — انه مات كإنسان أولاً، ولكنه عاد إلى الحياة بعد ذلك لأنه الله حسب الطبيعة، لذلك لو لم يكن قد عاني

الموت في جسده حسب الكتب، لما كان قد أُعيد إلى الحياة في الروح، أي أنه عاد ثانية إلى الحياة".

ولعل كلمات الفقرة ٣٨ لا تحتاج إلى تعليق:

"لأنه رغم أنه كواحد منا إلاَّ أنه لم يعرف الموت، لكنه نزل إلى الموت بجسده الخاص به، لكي نصعد نحن أيضاً معه إلى الحياة، لأنه عاد إلى الحياة ثانية، سالباً الجحيم، ليس كإنسان منا، بل كالإله في الجسد بيننا وأعلي منا. إن طبيعتنا اغتنت بالخلود جداً فيه هو أولاً، لأنه سحق الموت عندما هجم العدو على جسد الحياة، لأنه كما أن الموت انتصر في آدم، هكذا أيضاً قد انهزم في المسيح.." (أف ٤: ١٠).

الرسالة ٤١ إلى أكاكيوس:

ولعل إعادة نشر هذه الرسالة رداً على رواية يوسف زيدان أصبح ضرورة تاريخية بعد أن أشعل الإعلام ناراً بلا داعي حتى ننشغل عن قضايا الكبرى. بهذه المناسبة غير السارة نقول بكل صدق وحق، لا توجد وثيقة واحدة دُعي فيها الشيطان باسم "عزازيل"، والخيال البشري الجامح لا مجال له في دراسة صادقة وأمينة للتاريخ. وغياب الدراسات التاريخية من التعليم اللاهوتي والكنسي هو أحد أسباب الضعف والعجز الفكري الذي يمنع الكثير من الباحثين عن التصدي لجموح الفكر وخيالات الإعلام التي دخلت مجال الدراسات الكتابية واللاهوتية ظناً منها أنها تستطيع أن تزور التاريخ القبطي والمسيحي بشكل عام.

الفقرة العاشرة من الرسالة ٤١:

تعد هذه الفقرة من أهم ما كتب عن معني اسم ذبيحة الخطية حيث أن العهد القديم يصف هذه الذبيحة باسم الخطية. استند القديس كيرلس على نص واضح وهو (هوشع ٤: ٨) "يأكلون خطايا شعبي، أي يأكلون ذبائح الخطايا".

الفقرة العاشرة من الرسالة ٤١:

وهي موجهة في عصرنا الحديث إلى كل الذين أخطأوا في قراءة كلمات الرسول "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا" (٢كو ٥: ٢١) ويشرح المعلم الكبير كلمات الرسول على النحو التالي:

المقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله) لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً حاشا. بل هو بار وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطيئة، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم "لقد أُحصي مع أثمة" (أشعياء ٥٣: ١٢) واحتمل الدينونة التي تناسب الأثمة (أشعياء ٥٣: ٦) ولأجلنا احتمل الآلام وبجلداته شفينا (أشعياء ٥٣: ٤-٥) ويكتب بطرس الحكيم جداً "الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة" (١ بطرس ٢: ٢٤).

ينفي القديس كيرلس كل ما يُقال اليوم في بعض كتبنا القبطية بأن المسيح صار خطية وعاقبه الآب على خطايا البشر.

الفقرة الحادية عشر من الرسالة ٤١:

"ولأن معاناة الموت كان حتمياً على كل الذين على الأرض لأنه كان عائقاً ضد الجميع بسبب تعدي آدم ومُلك الخطية ساد علينا من آدم حتى زماننا، ولكن كلمة الله الآب الذي هو غني في الرحمة ومحبته للبشر صار جسداً أي إنساناً في صورتنا نحن المستعبدين للخطية وقبل نصيبنا كما كتب عنه بولس الفائق الحكمة" "بنعمة الله ذاق الموت لأجل الجميع" (عب ٢: ٩) وجعل حياته بدلاً عن حياة الجميع، لأن واحد مات عن الجميع لكي يحيا الجميع لله مقدسين ويصيروا أحياء بدمه (رو ٥: ١٢ – ٢١) متبررين كعطية بنعمته (راجع رو ٣: ٢٤) كما يقول يوحنا الإنجيلي "دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية (١يوحنا ١: ٧)".

هكذا حدد القديس كيرلس رؤيتنا للصليب:

* كلمة الله الآب بسبب غني الرحمة ومحبته صار إنساناً.

* قدم أو جعل حياته بدلاً عن حياة الجميع.

* التبرير بالإيمان هو عطية ولذلك هو مجاناً وهو تطهير من الخطايا بدم يسوع المسيح.

الفقرة الثانية عشر من الرسالة ٤١:

يؤكد القديس كيرلس إن المسيح "قدس الكنيسة بدمه" وأنه الآن يقدس المسكن الحقيقي أي الكنيسة وكل الذين فيها بدمه". هذه إشارة لا تخطئها العين الروحية في رؤية الليتورجية وخدمة الإفخارستيا. وعندما يشرح موت الرب على الصليب الذي رمز له التيس المذبوح الذي كان يُقدم في يوم الكفارة فهو يقول:

"علينا أن نري عمانوئيل الذي أباد الموت والخطية والذي (رَمَزَ) له التيس المذبوح، لأنه أباد الموت في الجسد وكان "حراً بين الأموات" (مزمور ٨٧: ٥) فهو لم يدنس بخطايا و لم يخضع لعقوبة الموت مثلنا".

الفقرة الثالثة عشر من الرسالة ٤١:

يؤكد القديس كيرلس أن أبواب الهاوية لم تستطع أن تبقي المسيح ورائها كأسير لأن الرب "قام وحطم الجحيم قائلاً للأسري "اخرجوا وللذين في الظلام استنيروا" (أش ٤٩: ٤ السبعينية). لم يري جسد الرب فساداً بسبب اتحاده بلاهوت الكلمة، وسكب المسيح نفسه للموت حراً وبإرادته وهو ما لا يقوي عليه الناسوت.

ثالثاً: هل تغير جسد الرب بالقيامة من الأموات؟

الجواب قطعاً نعم؛ لأنه كما سبق وقرأنا عند القديس أثناسيوس إنه جسد قابل للموت أو جسد مثل أجساد كل البشر، ولذلك صلب وذاق الموت. وفعل "ذاق" يؤكد نفاذ الموت إلى إنسانية المسيح، ولكنه لم يحدث إلاَّ لأن الابن أراد ذلك

"لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً لأنه كان يقصد نفسه soul أي حياته مؤكداً حسب قوله الإلهي "هذه الوصية قبلتها من أبي" (يوحنا ١٠: ١٧ - ١٨).

يوجد إجماع عام عند آباء القرن الرابع والخامس على تأكيد:

* إرادة الرب يسوع الحرة في قبول الصليب بسبب محبته للبشر.

* إرادة الرب يسوع الحرة في قبول الموت، ولذلك دخل هذا التعبير في صلوات كل الكنائس الأرثوذكسية "الموت الطوعي" و"الموت الاختياري"، لأن الرب لم يمت على الصليب قسراً أو استطاع الموت أن يرغمه على أن يسلم نفسه للموت دون إرادته حسب تصريح الرب يسوع نفسه السابق ذكره في (يوحنا ١٠: ١٨). وهذه هي كلمات المعلم العظيم وهو يشرح كلمات الرب يسوع:

"ولكن حينما صار إنساناً، وأخذ جسداً يخاف، وبسبب هذا الجسد وحَّد إرادته الخاصة بالضعف البشري، لكي بإرادته لهذا الضعف، يعطي للإنسان الشجاعة في مواجهة الموت.. خوفنا نحن ذلك الذي نزعه المخلص، لأنه كما أباد الموت بالموت، وبما تملكه بشريته أبطل كل ما للإنسان مثل الخوف، فقد نزع خوفنا وأعطي البشر أن لا يعودوا يخافون الموت.. وقال "لي سلطان أن أضعها.." (يوحنا ١٠: ١٨) فكونه يضطرب (يوحنا ١٢: ٢٧) فهذا خاص بالجسد، وان يكون له سلطان أن يضع نفسه *soul*، وأن يأخذها أيضاً حينما يشاء، فهذا أمر لا يخص طبيعة البشر بل خاص بقوة الكلمة لأن أي إنسان لا يموت حسب سلطانه الخاص، بل حسب ما تمليه الطبيعة ورغم إرادته، أما الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن أخذ جسداً مائتاً، **فله سلطان كإله أن يفصل النفس عن الجسد** وأن يعيدها حينما يريد. وداود يرتل عن هذا قائلاً "لن تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يري فساداً" (مزمور ١٦: ١٠ وهو ١٥: ١٠ في السبعينية، (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧).

وهكذا كان فصل النفس عن الجسد هو الموت الحقيقي على الصليب حسب إرادة الكلمة وبقوته الإلهية وليس خضوعاً للموت الذي تخضع له الطبيعة الإنسانية عن اضطرار، وبسلطان الكلمة.

ونظراً لدقة هذه النقطة بالذات، يلزمنا أن نـورد هنـا كلمـات القـديس غريغوريوس النيسي في رده على أنوميوس:

"سبق وأخبر (الرب) عن زمان آلامه أنه سوف يفصل نفسه ***soul*** عـن جسده بإرادته الطوعية قائلاً "ليس أحد يأخذ نفسي ***soul*** مني بل أنـا أضـعها، لي سلطان (قوة) أن أضعها.. (يوحنا ١٠: ١٨) لأن اللاهوت قبل التجسد، وفي التجسد وبعد آلامه هو غير متغير، ويظل كذلك دائماً غير متغير بالطبيعة إلى الأبد، ولكـن في آلام طبيعته الإنسانية أكمل اللاهوت التدبير لأجلنا بأن فصل النفس ***soul*** لبرهة عن الجسد دون أن ينفصل اللاهوت عن عناصر الحياة الإنسانية التي اتحد بها، لأنـه عـاد وأتحدها معاً، لكي يعطي الطبيعة الإنسانية كلها بداية ومثالاً سوف يُعلـن في قيامـة الأموات أي عندما يلبس الفاسد عدم فساد، لأن باكورتنا قد نقلـت (تحولـت) إلى الطبيعة الإلهية بسبب اتحادها بالله" (الكتاب ٢: ١٣ راجع ترجمة انجليزية ركيكـة في مجلد ٢٥ آباء ما بعد نيقية ص ١٢٧ – راجع أيضاً نفس الشرح للقـديس هـيلاري أسقف بواتييه: الثالوث كتاب ١٠: ٥٧-٦٠ ونفس الشرح للقديس أوغسـطينوس مقالات على إنجيل يوحنا Tractates ٤٧: ٩-١٣).

لقد هدم الرب صرح الموت كله، وهو صرح يعتمد علي:

* فصل النفس عن الجسد.
* فساد وتحلل الجسد في القبر.

وبذلك أعلن الرب كباكورة الراقدين ماذا سيحدث في القيامة، وهو عـودة النفس واتحادها بجسده بعد انفصال النفس الذي أبيد بسبب قبول الرب يسوع بإرادته

الحرة الموت الاختياري أي يفصل نفسه عن جسده لكي يؤسس بذلك فداء الإنسان ككل.

ولعل هذه الصلاة الفخمة في قداس الكنائس الأرثوذكسية تؤكد لنا كمال التدبير الإلهي:

"لقد كنت في القبر بالجسد، وفي الجحيم بالروح كإله، وفي الفردوس مع اللص وعلي العرش مع الآب والروح مالئاً الكل أيها المسيح غير المحصور" (كتاب خدمة الكهنة المطران يوحنا يازجي، ٢٠٠٠، ص ١٩٨).

لا يجب أن نخطئ في استخدام كلمة الروح لأنها الروح الإنسانية؛ لأن الرب "نزل إلى الجحيم من قبل الصليب"، ونزلت نفسه الإنسانية، ولذلك ارتعد منه بوابو الجحيم حينما رأوه" (القديس أثناسيوس ضد الأريوسيين ٣: ٥٤ وفي ٣: ٥٦ يذكر القديس أثناسيوس "لا يجوز أن يقال إن الرب ارتعد، وهو الذي هرب من أمامه بوابو الجحيم" وفي ذكصولوجية عيد القيامة:

"حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً.

لأن ربنا يسوع المسيح قام من بين الأموات.

بقوته أبطل الموت.

وجعل الحياة تضيء لنا.

وهو أيضاً الذي مضي إلى الأماكن التي أسفل الأرض.

بوابو الجحيم رأوه وخافوا.

أهلك أوجاع الموت (حرفياً مخاض الموت وترجمت "طلقات الموت" فلم تستطع ان تمسكه (أعمال ٢: ٢٤).

سحق الأبواب النحاس

وكسر المتاريس الحديد

وأخرج مختاريه بفرح وتهليل

وأصعدهم معه إلى العلو إلى مواضع راحته".

وعن مخاض الموت الوارد في سفر الأعمال (٢: ٢٤) يقول معلمنا ذهبي الفم:

"لكن الله أقامه محرراً إياه من مخاض الموت لأنه كان من المستحيل أن يبقيه الموت تحت سطوته".

وهنا نري شيئاً عظيماً وباهراً في تعبير "من المستحيل"؛ لأنه يؤكد انعدام قدرة أو سطوة الموت، بل يؤكد هذا التعبير أن الموت نفسه عندما أراد أن يُمسك به، ذاق الموت مخاض الولادة وتألم بشدة؛ لأن مخاض الموت في العهد القديم كان يعني خطراً حقيقياً ومصيبة (راجع الترجمة السبعينية) صموئيل ٢٢: ٦ – مزمور ١١٦: ٣) وهكذا قام ولن يسود عليه الموت لأن الكلمات "كان من المستحيل أن يبقيه الموت تحت سطوته" تعني أن القيامة خاصة به وحده (عظات على سفر الأعمال العظة ٦).

وفي رد القديس غريغوريوس النيسي على أنوميوس:

"كان من اللائق أن يزرع الرب فينا قوة القيامة من الأموات لأنه صار "بكر الراقدين" (١كو ١٥: ٢٠) لأنه بإرادته حل مخاض الموت أولاً، حتى يؤسس ميلاده الجديد من الموت طريقاً لنا نحن فلا يُمسك بنا الموت لأننا تحررنا بقيامة الرب" (٢: ٨ ص ١١٢-١١٣).

ملاحظة على النص اليوناني ليوحنا ١٠: ١٧ – ١٨:

أنا أضع نفسي

εγω τιθημι την ψυχην μον

ورد نفس الفعل τιθημι في (يوحنا ١٣: ٣٧ – ١٥: ١٣ – ١ يوحنا ٣: ١٦) الفعل نادر في اليونانية القديمة وخلف الفعل التعبير الآرامي masar matsho أي يسلم أو يقدم حياته.. الترجمة القبطية أوضح:

Ϫⲉ ⲁⲛⲟⲕ ϯϫⲱ ⲡⲁⲯⲩⲭⲏ ϩⲓⲛⲁ ⲟⲛ ⲛⲧⲁϭⲓⲧⲥ

"أنا أقدم، أضع نفسي لكي آخذها".

لذلك، وإن كانت كلمة "نفسي" أحياناً تترجم حياتي، إلاَّ أن النفس هي موضوع التقديم والنفس تعني في لغة الكتاب المقدس الإنسان ككل كما أن كلمة جسد تعني الإنسان ككل.

ويجب أن نلاحظ أن الفعل نفسه هو المستخدم في القداس الباسيلي:

Ⲁϥⲭⲱ ⲇⲉ ⲛⲁⲛ ⲉϩⲣⲏⲓ

"ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى".

والعبارات الخاصة بتقوى العصر الوسيط لا تكفي أي تلك التي تقول إن الرب "وضع هذا السر في علية صهيون"؛ لأن الفعل هنا خاص بالتقديم، وليس فقط بتأسيس السر حسب تقوي علماء العصر الوسيط الأوربي الذي تسلل إلينا من كتب الإرساليات، وإنما يوجد جانب لا يمكن إهماله وهو البذل، ذات البذل السري في العلية والمستعلن على الجلجثة لكل العالم.

اتحاد النفس بالجسد في سر الإفخارستيا:

السائد في كل القداسات الأرثوذكسية هو رشم الجسد بالدم، والدم بالجسد عند الروم والأقباط والسريان والأرمن والأحباش. وقد حرصت القداسات على الاحتفاظ بهذا الطقس السرائري لتأكيد أن تقديم الجسد والدم منفصلين تماماً يعني الموت، ولكن لأن الإفخارستيا هي المسيح يسوع كله وأن الذبيحة هي ذبيحة التجسد والصلب والقيامة، لأننا لا نعرف في تاريخ الأرثوذكسية الطويل ذلك الفصل والتقسيم بين إعلانات التدبير: التجسد، المعمودية، الصلب، القيامة، لذلك حرصت القداسات على وضع الجسد (وليس جزء من الجسد لأننا لا نستخدم كلمة قطعة أو جزء لخبز الإفخارستيا، وأصغر جوهرة وهو الاسم القبطي القديم هو جسد الرب يسوع كله،

لأن المسيح لا ينقسم في الكأس. حسب الطقس القبطي هو علامة الصليب التي تتوسط القربانة والتي ترمز إلى الرب يسوع وتوضع في الكأس، هذا الختم يسمي "الحمل" عند الروم.

ولدي مراجعة الخولاجيات القديمة، لم نجد صلاة القسمة السريانية، وإنما وجدناها بالعربية وأُعيد ترجمتها إلى القبطية في "الدير المحرق"، وهي ليست صلاة قسمة، وإنما هي الشرح السرياني على القداس، ولاحظ العبارات "وأتت نفسه واتحدت بجسده، ولكن لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده".

الجسد الممجد حسب شرح الآباء أثناسيوس وكيرلس الكبير:

ذكر القديس أثناسيوس في المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرة ٦١.

"هكذا كلمة الله عندما لبس هو أيضاً جسد البشر قيل عند ذلك فقط إنه خلق وصنع.. حينما صار الكلمة إنساننا لكي يعطي لنا النعمة قيل عنه "الرب قد خلقني، لأنه ليس ما هو مخلوق وصار مثلنا حسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعي "أخانا" و"بكرنا" ورغم أنه صار إنساناً بعد خلقتنا، ولكن لأجلنا يُدعي "أخونا" بسبب جسده الذي يشبه جسدنا، لذلك هو يُدعي "بكرنا" لأن جميع البشر هلكوا بسبب معصية آدم، ولكنه صار البكر لأن جسده كان هو أول ما تم خلاصه وتحريره لأنه جسد الكلمة ذاته، وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده نخلص على مثال جسده، لأنه بهذا الجسد صار الرب في الجسد قائدنا إلى الملكوت السماوي وإلى أبيه نفسه.. أنا هو الباب (يوحنا ٢٤: ٦) الذي يجب على الجميع أن يدخلوا بي. ولنفس السبب دعي أيضاً "البكر من بين الأموات" ليس لأنه أول من مات، فقد متنا نحن قبله، بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا فأبطل الموت، فصار هو الأول الذي

قام كإنسان، لأنه أقام جسده لأجلنا، وتبعاً لذلك حيث أن الجسد قد أُقيم، هكذا أيضاً نحن نقوم من بين الأموات منه وبه.

لقد تم خلاص الناسوت الذي أخذه الرب من القديسة مريم لأنه ولد من القديسة مريم القابلة للموت التي أخذ منها جسده، لذلك كان من الضروري حينما كان يعاني في الجسد أن يعاني وأن يبكي. "ضد الأريوسيين ٣: ٥٦، فالرب لم يأت من مصدر إنساني آخر غير الإنسانية التي سقطت في قبضة الموت.

وعندما يشرح القديس أثناسيوس عبارة سفر الأمثال (٨: ٢٢) "أول الطريق" يقول إن هذا الطريق الأول ضاع من آدم "وانجرف نحو الموت بدل الحياة في الفردوس وسمعنا جميعاً "انك تراب والي التراب تعود" (تكوين ٣: ١٩) لذا فإن كلمة الله محب البشر لبس الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يحيي بدمه الذاتي هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه، كما قال الرسول "وكرس لنا طريقاً حياً حديثاً بالحجاب أي جسده" (عب ١٠: ٢٠) وهو ما أشار إليه في موضع آخر حينما قال: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة..." (٢كو ٥: ١٧) فمن الضروري أن يكون لهذه الخليقة الجديدة شخص هو أولها، ولا يمكن أن يكون ذلك الشخص أي إنسان ترابي ضعيف لأن هذا هو حالتنا نحن بسبب التعدي لأن الخليقة الأولي صار البشر عديمي الإيمان، وبذلك هلكت الخليقة بسبب (آدم وحواء) ولذا كانت الحاجة إلى آخر يقوم بتجديد الخليقة الأولي، وأيضاً يحفظ الخليقة الجديدة التي ستأتي. لذلك فمن محبته للبشر لم يُخلق أي شخص غير الرب ليكون أول طريق الخليقة الجديدة... لكي لا يحيا الإنسان فيما بعد حسب الخليقة الأولي لأنه صارت للخليقة الجديدة بداية وهو المسيح الذي هو بدء طريقها" (المقالة الثانية ضد الأريوسيين ٦٥).

ملاحظات عقائدية على الفقرة ٦١، ٦٥ من المقالة الثانية ضد الأريوسيين:

١- إذا كان ناسوت الله الكلمة هو أول طبيعة إنسانية تم تحريرها، فإن المقصود حسب كل ما ذكره القديس أثناسيوس هو:

* عدم الموت أي الخلود، وهو نفس التعبير الذي يندرج تحت تألُّه ناسوت الابن الوحيد مع بقاء هذا الناسوت، بشراً حقيقياً، وسوف نعود إلى تأله ناسوت الرب في مناسبة أخري. لكن قد أعطي الابن "للجسد كمالاً" (٣: ٥١) وحسب عبارة القديس أثناسيوس "نزع عنه الموت وتأله" (٣: ٤٨) وأيضاً تجسد الكلمة ٤٤: ٦.

* لم يعد الجسد خاضعاً للألم، وعدم التألم هي صفة من صفات لاهوت الله الكلمة، فالجسد "له الآلام الخاصة به" (٣: ٤١) وعدم الألم هي صفة "جسد المجد" فقد أقام الرب جسده في اليوم الثالث حاملاً عدم الفساد وعدم التألم **اللذين حصلا لجسده** كعلامة للظفر والانتصار على الموت (تجسد الكلمة ٢٦: ١ – ٢١: ٧) وهذا يعني تحول المائت إلى غير مائت، المتألم إلى غير متألم.

٢- هنا نستطيع أن نفهم عبارة المعلم العظيم بأن الرب "فدي جسده بدمه" وهذا يقودنا إلى النقطة الثانية الهامة، وهي أن الرب لم تحوله قوة خارجية فرضت نفسها عليه، ولكنه كان التحول الذي يتم داخلياً بواسطة الكلمة نفسه الذي نقل إلى كيانه المتجسد قوة الحياة التي فيه، ولذلك "قدَّس الجسد" (تجسد الكلمة ٤٣: ٧ – ١٧: ٥). وعندما تجسد لم تكن إبادة الموت فكرة مجردة تعبر في حياة الرب يسوع، بل كان من الضروري أن "يباد الموت" فيه بقوة المخلص" (تجسد الكلمة ٢٦: ٦) "ونال الجسد منه (الكلمة) قوة" (تجسد الكلمة ٢١: ٤-٥). ولذلك يصف أثناسيوس العظيم القيامة بأنها "نعمة"؛ لأن "الفساد قد بطل وأبيد بنعمة القيامة" (تجسد الكلمة ٢١: ١). هذا ما هو يجب أن يوصف حسب كلمات المعلم نفسه بأنه تحول "لم يكن

ممكناً أن يحول الفاسد إلى عدم فساد إلاَّ المخلص نفسه.. يجعل الإنسان المائت غير مائت إلاَّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (تجسد الكلمة ٢٠: ١).

٣- النقطة الجديرة بالاهتمام والتي يجب أن تستوعب، هي أن التحول لم يكن عملاً ميكانيكياً مثل سريان الكهرباء أو اشتعال النار. لأننا أمام حدث كبير وتحول لا يمكن لأي قوة مخلوقة أن تساهم فيه، هو الخلق الجديد الذي صار طريقاً جديدة، وصار بداية حياة جديدة في آدم الأخير الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧) وتحول الناسوت هو ذلك النمو والتقدم نحو كمال التدبير. ونحن نحتاج إلى أن نقف أمام عبارتين كل منهما يؤكد الإتحاد الأقنومي (رغم أن القديس أثناسيوس لم يستخدم هذا التعبير) ولكنه متناغم تماماً مع التدبير "ففي نموه (أو تقدمه) كان يزداد أيضاً ظهور اللاهوت فيه لأولئك الذين رأوه، وكلما كان اللاهوت يُستعلن أكثر فأكثر، كلما ازدادت نعمته كإنسان أمام كل الناس. فهو كطفل حُمل إلى الهيكل.. وكان جسده ينمو شيئاً فشيئاً (الكلمة كان يُظهر ذاته فيه" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٢) وأيضاً "لأنه هكذا بازدياد الجسد في القامة كان يزداد فيه ظهور اللاهوت للكل ايضاً ويظهر للكل أن الجسد هو هيكل الله (٣: ٥٣)

٤- التحول الداخلي في داخل الكلمة المتجسد شُرِحَ بعناية في الفصل ٤٢ من تجسد الكلمة على هذا النحو:

* كان الإنسان موجوداً فعلاً وكان محتاجاً إلى مجيء الكلمة (٣).

* كان الفساد الذي حدث لم يكن خارج الجسد بل كان ملتصقاً به (٤)

* لو كان الموت خارج الجسد لكان من الصواب أيضاً أن ينال الجسد حياة من الخارج، ولكن كان الموت قد صار داخل نسيج الجسد وموجوداً في كيان الإنسان، بل له سيادة على الإنسان، لذلك كان من اللازم ان تصل الحياة إلى داخل نسيج الجسد، حتى إذا لبس الجسد الحياة بدل الموت يطرح عنه الفساد (٥)

كل هذا تحدده حقيقة أساسية وهي إن الكلمة تجسد فعلاً و لم يكن موجــوداً فقط خارج الجسد كإله، بل في الجسد الذي اتحد به.

* لو افترضنا أن الكلمة جاء خارج الجسد وليس فيه، لكان الموت قد هــزم منه حسب قانون الطبيعة إذ أن الموت ليس له سلطان على الحياة، ولكن رغم ذلــك، كان الفساد سيظل باقياً في الجسد" (٥)

* لهذا السبب كان من اللائق أن يلبس المخلص جسداً لكي إذا اتحد الجســد بالحياة لا يعود يبقي في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الموت، فإنه يقــوم ثانيــة **ويظل غير مائت بعد ذلك"**.

هذا كله مبني على حقيقة تجسد الكلمة:

* لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في جسده ويبيده (٦)

* كلمة الله الذي بدون جسد قد لبس الجسد لكي لا يعود الموت والفســاد يرهب الجسد (٧).

٥- البداية الجديدة أو الطريق الجديد أو الخليقة الجديــدة (الأصــح الخلقــة الجديدة) هي آدم الثاني أو آدم الأخير الرب يسوع المسيح نفسه (١كــو ١٥: ٤٥-٤٩) والتحول هنا، من: الإنسان الأول ترابي من الأرض إلى الإنسان الثاني الرب من السماء. وطبعاً عبارة "الرب من السماء" تعني ربنا يسوع الإله المتجسد، لكن الرسول لا يقف عند مجرد "الوصف"؛ لأن ذلك الوصف يصل إلى غاية التدبير. كمــا لبســنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي"، فالتحول هو أن الفاسد أي اللحم والدم – أي الإنسان في صورته الطبيعية لا يرث عدم الفساد (١كو ١٥: ٤٩ -٥٠).

تقبل أسمي تحياتي

د. جورج حبيب بباوي

تعليق على تعليق

مجرد محاولة لإعادة اكتشاف مسلمات الخريستولوجيا

أستاذي الدكتور / جورج حبيب

سعدت سعادة بالغة بتشريفكم لي بالتفضل بالتعليق الذي التمسته منكم. أيضاً سعدت جداً بثنائكم، الذي لا يدل إلاَّ على تواضع العالم العظيم في خطابه مع مجرد تلميذ متواضع من تلاميذه ومريد من مريديه.

وكعهد الدنيا بك فأنت دائما ذلك الكائن البشري الذي لا يتنفس إلاَّ حكمة الآباء ولا ينطق ولا يفكر إلاَّ لغتهم التي تحمل عبق طزاجة الفكرة المسيحية، في منابعها الأولي.

تعلمت منكم هذا العشق لتراث الآباء، لاسيما فكر العظيم أثناسيوس ولكنني في تشبسي بهذه المرجعية الآبائية فان تشبسي لا يتوقف عند حدود ظاهر النص، ولكنني أستميت في التشبس بجوهر فكر الكاتب ككل، ذلك الجوهر الذي يتبلور في صيغة لا تقبل الجدل – تظهر من خلال بلورة لمشترك أعظم يمثل حبل المسبحة الذي يضم حبات لآلئ مفردات النص. المثال الأوضح – وهو في الواقع بيت القصيد لموضوعنا – هو موضوع التجسد بالنسبة لجل فكر القديس أثناسيوس.

ما نتعلمه من فكر أثناسيوس – لا سيما كتاب تجسد الكلمة – هو أن حدث الاحتفالية – الحدث المركزي – الحدث الأم – هو تجسد الكلمة، هو صيرورة شخص

الابن إنسانا. في التجسد نالت البشرية – في جسد يسوع الخاص، كرأس – كل ما يخص النعمة.

بالتجسد تحققت القيامة والنصرة على الموت. بالتجسد تحققت المغفرة. بالتجسد تحقق الخلاص. بالتجسد تكرس الملكوت، إذ تكرس وجود الملك، الرب يسوع. بالتجسد انطلق تأسيس الكنيسة بتحقق وجود رأسها، الرب يسوع التاريخي. فلنتخيل ما نشاء من مفردات توصيف النعمة، فلن نجد مفردة واحدة منها لا توصف ما هو قائم في إنسانية الكلمة المتجسد الرب يسوع.

إذن، محورية التجسد ومركزيته هي نقطة حاكمة، ومن المستحيل الوصول لمفهوم صحيح للنعمة التي نالتها البشرية في المسيح بدون تمركز التجسد داخل هذا المفهوم.

النقاط الحاكمة لفهم صحيح لموضوع التجسد:

١– طبيعة كيان التجسد:

كيان التجسد هو شخص الكلمة المتأنس، الإله الكامل والإنسان الكامل بان واحد. هذه المعضلة الخريستولوجية ينبغي أن لا تكون بهذا القدر من الغرابة الذي تبدو عليه، بالنسبة لنا، فالعلاقة بين مختلفين – المكونة لكيان واحد بسيط، بلا تركيب – هي قريبة جداً لنا، أكثر مما نتخيل، فهي حقيقة وجودنا، هي حقيقة طبيعتنا، فالشخص الإنساني هو ثمرة اتحاد سري، لا نستطيع إدراكه، بين النفس البشرية العاقلة والجسد البشري. النفس والجسد طبيعتان مختلفتان متمايزتان ولكن اتحادهما – الذي لم يكن غير كذلك يوما ما، ولن يكون – بالنسبة للإنسان الحي –هو سر وجود الشخص البشري الواحد.

لقد كان"النموذج الإنساني "، بمثابة الوسيلة التمثيلية الناجحة والناجعة الـــتي تبناها القديس الأنبا كيرلس الأول، في معرض شرحه وتأصيله لمفهوم مصطلح "الاتحاد الأقنومي (hypostatic union) ، وذلك في رسالته الثانية إلى سكسينسوس وأيضاً في رسالته الثالثة إلى نسطور.

الأقنوم هو الشخص، والاتحاد الأقنومي هو الاتحاد الشخصي، أي الاتحـــاد – بين عنصري الشخص – الذي به يوجد الشخص، ولا وجود للشخص أو لأي مـــن عنصريه – في حالة مستقلة – سواء قبل أو بعد، الاتحاد الأقنومي.

الاتحاد الأقنومي هو طبيعة الرب يسوع التاريخي، إلوهة كاملة وإنسانية كاملة في وحدة، لا وجود فيها لاختلاط، أو امتزاج، أو تغيير- أو اســـتقلال - لأي مـــن الطبيعتين – سواء قبل أو بعد الاتحاد.

يعبر عن الاتحاد الأقنومي بمصطلح "الاحتـــواء المتبـــادل" (coinherence) وهذا التعبير يختلف عن تعبير آخر، يستخدم لشرح علاقة شخوص الثالوث الأقـــدس وهو(perichoresis):

الاتحاد الأقنومي، الذي يتحقق به الشخص الإنساني، إنما يعـــني أن الـــنفس البشرية والجسد البشري كائنان في حالة احتواء –وتواجد واستيعاب – متبادل.فالنفس (الروح) هي التعبير غير المادي عن الجسد، والجسد هو التعبير المادي عن النفس. كل من العنصرين يتضمن الآخر ويحقق وجوده، ولا وجود مستقل لأي منهما. الاستقلال – هنا – يعني الموت والتلاشي لكليهما.

أما في ما يخص الخريستولوجيا، فإننا يجب أن نـــدرك أن لاهـــوت الكلمـــة المتجسد هو في حالة احتواء متبادل مع ناسوت الكلمة المتجسد. الإلوهة الكاملة التي للكلمة المتجسد هي في حالة تواجد متبادل، واستيعاب متبادل،مع الانسانية الكاملـــة التي للكلمة المتجسد.

هذا هو شخص الرب يسوع التاريخي، شخص واحد، بسيط، غير مركب، كائن في اتحاد اقنومي – غير قابل للتقسيم – بين عنصريه، الكلمة والإنسان.لاهوت الكلمة المتجسد يتضمن ناسوته الكامل وهو"يكرم بسجدة واحدة "(بحسب تعبير ق/كيرلس في رسالته الثالثة إلى نسطور)، بينما، ناسوت الكلمة المتجسد يتضمن لاهوته الكامل وهو يكرم بذات السجدة الواحدة.

٢- طبيعة الواقع الجديد الذي تحقق بالتجسد:

تحني الصبية العذراء رأسها خضوعا لأمر الرب قائلة :" هوذا أنا أمة الرب.ليكن لي كقولك "(لو ١ :٣٨). قالت هذا رداً على رسالة المبشر العجيبة :" الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود يدعي ابن الله."(لو ١ :٣٥). وما أن أعلنت العذراء تسليمها الكامل لإرادة الرب حتى زرع في رحمها أول خلية حية تنتمي لطبيعتنا البشرية. تتكاثر الخلية وفقا لبيولوجيتنا. ينمو الجنين.يكتمل نموه. يولد. يسمي يسوع. ينمو الطفل.يصير رجلا. يخرج لقومه بخطاب جديد. يصطدم مع المؤسسة الدينية المتحجرة. يتآمروا لقتله باسم الدين. ينفذون المؤامرة. يصلب.يموت. يتواري في القبر.

مع ظهور الخلية الأولي التي رصدنا قصة وجودها يحدث أمر جلل آخر في تواز وتلازم وتزامن مع هذا الظهور؛ يحدث أمر هو بمثابة ثورة كونية تمثل ارتقاءا نوعيا بخصوص أعظم مخلوقات الكون أي الإنسان. هذه الثورة النوعية هي ظهور خلقة جديدة للإنسان، ظهور الإنسان عديم الفساد الذي له الحياة الأبدية.ظهرت الخليقة الجديدة كاملة – لحظيا – متزامنة مع ظهور الخلية الأولي من كيان يسوع في رحم العذراء.

الإنسانية الجديدة عديمة الفساد الكائنة في الرب يسوع التاريخي هي ثمرة الاتحاد بحياة الكلمة.ظهور"جديد يسوع" هو الدليل الواقعي والعلامة الأكيدة للاتحاد الأقنومي بين الكلمة والإنسان في الرب يسوع التاريخي.

الاتحاد الأقنومي الذي لشخص الرب يسوع التاريخي هو اتحاد الكلمة بالإنسان الكامل. الإنسان الطبيعي ليس هو الإنسان الكامل.الأخير هو ذلك النموذج الذي خلق الإنسان ليكون إياه. في الرب يسوع ظهر الإنسان الكامل. لم يكن الاتحاد الأقنومي قائما بين الكلمة والإنسان العتيق فقط. من المستحيل أن تظل طبيعتنا كما هي بالرغم من وجودها في اتحاد أقنومي مع الكلمة في شخص الرب يسوع.

جوهر شخص الرب يسوع التاريخي –وباطنه المستتر – هو إنسانيته الجديدة غير القابلة للموت –ولا حتى للألم –وذلك بفضل كونها قد صارت شريكة في حياة الكلمة باتحادها أقنوميا معه، وهي قد صارت هكذا منذ أن صار هناك اتحاد، أي منذ بداية انطلاق الحدث في رحم العذراء.أما ظاهر شخص الرب يسوع – المرصود تاريخيا في الأناجيل – فهو طبيعتنا نحن.هو ما نحن عليه كبشر طبيعيين، قبل الامتلاء بالنعمة.هو الإنسان العتيق، جسداً ونفسا، لحما ودما، ألما وموتا. هو ذلك الفاسد بالطبيعة. هو ذلك، غير القابل بطبيعته أن يرث عدم الفساد. هو ذلك المحكوم عليه بالموت. هو ذلك العبد الذي، نحن إياه

ولكن الخلط بين ظاهر الشخص وباطنه هو حجر العثرة الذي يحول دون إدراك صحيح لمسلمات الخريستولوجيا، وفي ذات الوقت فان الظاهر والباطن ليسا كيانين منفصلين بل هما كيان واحد؛ فباطن الشخص – الإنسانية الجديدة الكائنة في الكلمة – هو الصيغة الممتلئة – هو الصيغة الجديدة –عديمة الفساد – لذلك الظاهر. والأخير هو العتيق هو الصيغة التي ننطلق منها نحو ملئنا الذي في المسيح، أي نحو تحقيق وإظهار ذلك الباطن. الاثنان هما صيغتان متباينتان للوجود الإنساني الواحد. الجديد هو

صيغة الحياة أما العتيق فهو الصيغة الطبيعية المحكوم عليها بالموت. والرب عندما زرع جديده – خفية، بسر لا ينطق به – في عتيقنا فهو قد ظل لابسا إيانا، حتى إذا مات فينا وأماتنا معه، وأظهر باكورة قيامتنا، كيانه الجديد الذي لم يستطع الموت أن يمسك به – استحققنا أن نشترك في جديده الذي صار لنا رأسا وصرنا نحن له أعضاء.

كيان يسوع الجديد، رأس خلقتنا الجديدة هو كائن في ذلك الوليد الذي قال عنه المبشر :" ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة: تجدون طفلا مقمطا مضجعا في مذود."(لو ٢: ١١و ١٢).لقب "المسيح "يعني كمال النعمة وكمال مجد الإنسانية وكمال النصرة على الموت، كما يتضح من كلمات بطرس الرسول يوم الخمسين :" فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه انتم، ربا ومسيحا."(أع ٢ :٣٦).وكما يتضح أيضاً من تعقيب الرب على شهادة بطرس عنه بأنه هو المسيح ابن الله الحي، إذ قال له :" أنت بطرس وعلي هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوي عليها."(مت ١٦ :١٨).هو اذن المسيح الذي اتخذ من طبيعتنا جسداً ماسحاً إياه حتى ما يصير باكورة لمسحتنا جميعا فيه. هو الرب الذي اتخذ من طبيعتنا جسداً معلناً فيه كمال الربوبية والاعتناء أي الحياة وعدم الموت، حتى ما يصير لنا ربا ورأسا لوجودنا، فيه. وقد كان الرب، طيلة فترة خدمته على الأرض حريصا على أن تبقي حقيقة كونه المسيح، سرا؛ ففي نفس سياق شهادة بطرس – على سبيل المثال –"أوصي تلاميذه أن لا يقولوا لأحد انه المسيح.(مت١٦: ٢٠). لقب المسيح يحمل داخله كيان يسوع الجديد الذي كان حريصا على أن يبقيه مخفيا إلى أن يسمح بظهوره للتاريخ في فجر الأحد. هذا هو الصخرة,هذا هو حجر زاوية كنيستنا التي لن تقوي عليها أبواب الجحيم.

كيان يسوع الجديد، رأس خلقتنا الجديدة هو ذلك المستهدف من كلمات السماء :"هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت."(مت٣ :١٧).معمودية يسوع في

الأردن لم تكن ظهورا للثالوث – بطريقة مجردة عارية – بل كانت ظهورا للبشرية الجديدة –الكائنة في كيان الرب يسوع –كصورة للثالوث الأقدس، أي التي هي بحسب التعبير الآبائي الأصيل :" من الآب بالابن في الروح القدس.

إذن , النازل في مياه الأردن، والمعتمد من يوحنا الصابغ هو بكر البشرية الجديدة ن الكائنة إلى الأبد داخل شركة الثالوث الأقدس ن معمودية يسوع تكشف باكورة مسرة الآب في البشر أي بشرية الرب يسوع، ذلك الذي بواسطته تكتمل مسرة الله عندما يجتمع فيه الكل.

كيان يسوع الجديد، رأس خلقتنا الجديدة هو ذلك الذي أظهره الرب للخاصة من تلاميذه، على الجبل، واليه صار صوت السماء: " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا."(مت ١٧ :٥). إذن هو نفس خطاب مسرة الآب – بالبشرية الجديدة التي للكلمة المتجسد – والذي سبق استخدامه في معمودية الأردن، وذلك لأننا، هنا،أيضا، بصدد استعلان نفس الحدث.

الكيان المستعلن في التجلي هو بشرية يسوع الممجدة بفضل الاتحاد الأقنومي وهذا هو ما أشار إليه أحد شهود التجلي وهو الرسول بطرس، إذ قال في رسالته الجامعة :"لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى :"هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به "ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلا من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس."(٢بط ١ :١٧و١٨)

الفعل المستخدم للتعبير عن حدث التغير في الهيئة والتجلي، في هذا السياق، هو "metamorphoo"، وهو لم يرد في العهد الجديد إلاَّ في أربعة مواضع فقط: اثنان منهما بخصوص حادثة التجلي، والاثنان الآخران لهما دلالة ذات صلة بنفس الحادثة ولعل هذه الدلالة هي كشف امتداد مضمون حدث التجلي في أعضاء الكنيسة التي

هي جسد الرب، وبكلمات أخري، هي مضمون عبارة " له اسمعوا " التي تأتي في نهاية خطاب السماء.والموضعان هما :

١- لا تشاكلوا هذا الدهر، بل "تغيروا " عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.(رو١٢ :٢).٢- ونحن جميعا عاكسين "reflecting" الترجمة الصحيحة، كما أعتقد) مجد الرب بوجه مكشوف "نتغير " إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.(٢كو ٣ :١٨). إذن هو مجد المسيح، الأبدي، غير الزائل الذي نتغير إليه، وهكذا ينعكس مجده علينا مثلما انعكس مجد الله قديما على وجه موسي ولكن الفرقان الأساسيان بين المجدين هما :١- مجد موسي زائل ومجد المسيح باق.٢- مجد موسي كان محتجبا وراء برقع وأما مجد المسيح فينعكس علينا ونحن بوجه مكشوف، وبدون برقع أو حجاب.

كيان يسوع الجديد، رأس خلقتنا الجديدة هو ذلك الذي شهد لذاته قائلا :"من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي، وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. من يأكل هذا الخبز فانه يحيا إلى الأبد."(يو ٦: ٥٦-٥٨).وفي العشاء الأخير، في عشية إعدامه، قدم كيانه، الجديد، جاعلا منه الكيان الإفخارستي الذي فيه تجتمع وتتحقق الكنيسة، الخليقة الجديدة.

كيان يسوع الجديد، رأس خلقتنا الجديدة هو ذلك الذي شهد لذاته قائلا :" أنا هو القيامة والحياة. من امن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وامن بي فلن يموت إلى الأبد."(يو١١: ٢٥ و٢٦).

وهكذا صار موت الصليب كشفا للنصرة الكائنة في جديد يسوع، الذي صار وديعة لدي الآب، وحينما أسلم عتيقه لمصيره الطبيعي - الذي هو مصير الكون

كله، أي العدم – كان ذلك خلعا للحجاب الذي يستر مجد الإنسانية، ورأسها، الرب يسوع القائم والمنتصر على الموت.

ولم يكن موت الصليب مجرد أداة انتصار على الموت في كيان الرب، فقط، بل لقد أصبح الصليب هو قوة الكنيسة وطريقها للشركة في مجد القيامة بالشركة في موت المسيح المحيي. أصبح الصليب معبرا للشركة في مجد التجسد، بتكميل الجسد الذي للكلمة المتجسد، المسيح المستوعب لكنيسته.

٣- طبيعة الواقع القديم الذي تم تجاوزه بالتجسد:

الواقع القديم هو ذلك الممتد منذ ظهور أول خلية بشرية حية في رحم العذراء، إلى دخول جسد يسوع في القبر. هذا هو واقع الألم والموت.هذا هو كياننا الطبيعي، جسداً ونفساً، أو الجسد النفساني.ولكن هذا الواقع – الذي استمر لعدة سنوات قليلة، بتعداد زماننا – هي عمر الرب يسوع التاريخي على الأرض – كان قد تم تجاوزه تماما من خلال الظهور المتزامن والمتلازم – مع انطلاق الحدث- للطبيعة البشرية الجديدة عديمة الفساد والتي لها الحياة الأبدية.وقد ظل الواقع الجديد مستترا خلف العتيق إلى أن تواري العتيق في القبر فتم إعلان الواقع الأبدي الجديد الذي للبشرية الكائنة في الكلمة، في اتحاد أقنومي، والصائرة رأسا لجميع المختارين من البشر ليصيروا أعضاء المسيح.

موت الرب يسوع لا يمكن تفهمه بدون إدراك بعده الكوني (وهذا ما أثنيتم عليه، مشكورين في تعليقكم الرائع). والبعد الكوني لموت يسوع يعني أنه فيما مات موتنا فهو قد مات موت الكون كله،أي العدم؛ لأننا حينما نموت،بحكم طبيعتنا، وذلك بانفصال النفس عن الجسد وضياع هيئة الاثنين وانحدارهما نحو العدم، فانه ما تزال بقايا الأجساد في الكون وبتحللها تدور العناصر ثانية في الكون في صور أخري.

تمام صورة الموت هو العدم الذي يحدث في لحظة نهاية الكون بانحلال العناصر، الأمـــر الذي تحدث عنه الرسول بطرس في رسالته، إذ قال :"(سيأتي كلص في الليل، يـــوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحتـــرق الأرض والمصنوعات التي فيها."(٢بط ٣ :١٠)

الرب يسوع التاريخي مات هذا الموت. مات موت الكون كله، وبذلك هو لم يمت موتنا فقط بل قد أتم موتنا وأتم موت الكون، وحينما أغلق على عتيقه بـــالحجر، داخل القبر، تهاوت الطبيعة المادية العتيقة التي لذلك الحجاب، وانحلت جميع عناصرها وصار ظاهر شخص الرب يسوع – المادي (اللحم والدم)– عدما، لتتكشف حقيقة الجديد المستور، ذلك الكيان الروحاني، الذي للإنسانية الجديـــدة الكائنـــة في اتحـــاد شخصي مع الكلمة منذ أول لحظة للتجسد.

وإذا أردنا أن نري – بالنعمة –منظورا أوسع لهذه القضية، فإننا يجب أن ندرك أن مفهوم البعد الكوني لموت الرب يسوع هو جزء من سياق أوسع وأرحـــب هـــو مفهوم " البعد الكوني للتجسد ".تجسيد الأمر هو إعادة اكتشاف حضوره في الآخر. الكون لم يكن يوما إلاَّ تجسيداً لحضور الكلمة، وهذا هو عمق مفهوم النعمة. حضور الكلمة في الكون – أي نعمة الخلق واستمرار الخليقة – هو حضور نســبي، كمـــي، موقوت، رجعي(reversible) ، وبإرادته وحده، في الزمن المحدد سوف ينهي الكلمة حضوره في الكون فيتلاشي عائداً إلى العدم. ولكن ماذا لو أن الكلمة قد حضر بكـــل ملء لاهوته – حضورا مطلقا – في إنسان ينتمي إلى هذا الكون واتحد بـــه أقنوميـــا، متجسدا فيه – جاعلا منه رأس الإنسانية الجديدة عديمة الموت – فماذا يعني موته، في هذا السياق؟ إلاَّ يعني ذلك أن الكلمة المتجسد – وفيمـــا أراد أن يظهـــر الخليقـــة الجديدة، التي ظهرت بفضل حضوره الأبدي فيهـــا (irreversible) ، فانـــه أنهـــي

حضوره في ظاهر شخصه، العتيق – كما سوف ينهي حضوره في الكون – فصار عدما؟ أليس هذا هو الموت، كغياب لحضور الكلمة؟.

في جديد يسوع – المتحد أقنوميا، إلى الأبد، مع الكلمة – قد تم تجاوز واقع الحضور الزمني للكلمة في عتيق يسوع. وهو حينما خلع ذلك العتيق – في القبر – مسلما إياه لمصيره الذي هو مصير الكون، أي العدم – كان قد كشف عن كيانه الجديد، الذي صار غطاء ورداء للكل؛ لأن كل الذين اعتمدوا للمسيح قد لبسوا المسيح.(غل ٣: ٢٧).

مفهوم البعد الكوني لموت الرب يسوع – والذي يأتي في سياق البعد الكوني للتجسد – يعني أن الرب يسوع، حينما مات، فقد مات موت الكون، كله، أي الفناء والعدم. وحينما أظهر قيامة جسده الخاص فقد كان ذلك إظهارا لبداية الكون الجديد، الذي يتكمل الآن بتكميل وامتلاء جسد المسيح؛ فالكون الجديد ما هو إلاَّ الكنيسة :" السماء الجديدة والأرض الجديدة، المدينة المقدسة أورشليم الجديدة النازلة من عند الله...مسكن الله مع الناس."(رؤ٢١: ١-٣).

٤- طبيعة العلاقة بين الجديد والعتيق:

من خلال تعمق الإصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الرسول الأولي إلى أهل كورنثوس، نستطيع أن نرصد النقاط الرئيسة لهذه العلاقة:

أولا: هي علاقة ذاتية:

الجديد والعتيق ليسا طبيعتين أو شخصين مختلفين بل طبيعة واحدة لشخص واحد ومثلهما كعلاقة البذرة بالكيان المستزرع. البذرة هي الصورة المزمع موهما لحساب الكيان المستهدف زراعته، الكيان الحي :" الذي تزرعه لا يحيا ان لم يمت. والذي تزرعه، لست تزرع الجسم الذي سوف يصير، بل حبة مجردة، ربما من حنطة

أو أحد البواقي. ولكن الله يعطيها جسما كما أراد ولكل واحد من البزور جسمه."(١كو ١٥: ٣٦-٣٨).

ثانيا: هي علاقة تغير:

١- جوهر التغيير: هو ظهور الطبيعة عديمة الفساد -الممجدة، الجسم الروحاني، صورة السماوي- عوضاً عن الطبيعة الفاسدة، الجسم الحيواني، صورة الترابي، اللحم والدم.
٢- الية التغيير: هي الحدث المزدوج للحياة والموت. إذ ينشأ وجود الكيان الجديد - القائم من الموت - من العدم، بفضل الشركة في حياة الكلمة، وفي ذات حدث التغير، ينحدر العتيق نحو مصيره الطبيعي، أي العدم. :" ان لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد... لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير،.. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت."(١كو ١٥: ٥٠- ٥٤).

التغير هو عملة ذات وجهين، الوجه الاول هو نشأة الجديد، من العدم. والوجه الثاني هو انحدار العتيق إلى العدم.

٥- التقاطع بين صورتي الجديد والعتيق:

الحالة الثانية هي حالة التزامن والتلازم المطلق بين الظهور الكامل للجديد و ظهور العتيق، في شخص الرب يسوع التاريخي. وإذا كان كيان إنسانيتنا الجديد، الذي نستهدفه،أي الكيان الممجد، القائم من الموت، هو صورة السماوي - أي صورة ادم الأخير، الروح المحيي، الإنسان الثاني الرب من السماء (١كو ١٥ :٤٥-٤٩)- فعلينا أن نتبنى أحد اختيارين - لا ثالث لهما - الأول هو أن جديد يسوع أي إنسانيته الممجدة - التي أظهرها في فجر الأحد، حينما أعلن القيامة للتاريخ - هي قائمة في

كيانه، منذ أول لحظة للتجسد، في رحم العذراء. والثاني هو أن يسوع التاريخي لم يصر ربا ومسيحا إلاَّ في فجر الأحد، بعد أن قبر بثلاثة أيام!.

٦- طبيعة الفرق بين جديد وعتيق شخص الرب يسوع التاريخي:

الجديد هو الحي عديم الفساد. العتيق هو طبيعتنا الأولي، هو نحن، جسداً ونفساً، هو الفاسد بالطبيعة والمنحدر نحو العدم.وعندما يقال أن الرب، بموته قد انفصلت نفسه عن جسده، فإنما يجب أن يفهم ذلك على مستوي الوجود العتيق؛ فنفسه العتيقة قد انفصلت عن جسده العتيق (اللحم والدم) وعليه فقد تم الموت بتلاشي عنصري الجسد النفساني. وأما الوجه الآخر للحدث فهو أن هناك كيانا جديداً، نفساً وجسداً (الجسد الروحاني)، غير قابل للموت، كائن في اتحاد أقنومي مع الكلمة، ومستزرع من تلك البذرة العتيقة، منذ بداية انطلاق حدث التجسد.

الجديد هو التغير النوعي،الكامل، التام، المنطلق من بداية الحدث، والي الأبد، كرأس للكنيسة. العتيق هو حدث تراكمي كمي - تغير ونمو ينطلق من بداية الحدث إلى دفن القبر.

الجديد خفي مستتر، هو باطن الشخص. العتيق هو الحجاب الذي يستره، هو ظاهر الشخص.

٧- طبيعة العلاقة بين جديد يسوع وجديد القديسين (الذين في المسيح)

يختلف المدلول اللاهوتي لشخص "الرب يسوع التاريخي "- من المنظور الكمي - عن المدلول اللاهوتي لشخص "المسيح"؛ فالأخير هو شخص كاثوليكي (جماعي)، فيه تجتمع الكنيسة الكاملة - التي هي جميع المختارين من البشر، الصائرين أبناء للآب بالتبني، بالشركة في الابن المتجسد - كجسد واحد، رأسه هو الرب يسوع التاريخي، ذاته.

السؤال، إذن هو :كيف نفهم "الاتحاد الأقنومي "، في سياق الحديث عن المسيح، المستوعب لكنيسته؟.للإجابة، نقول :لفهم الاتحاد الأقنومي بالنسبة لشخص المسيح، هناك مستويان: المستوي الأول هو مستوي رأس الكيان، الرب يسوع الذي يقوم شخصه بالاتحاد الأقنومي بين إنسانية الكلمة المتجسد ولاهوته، والمستوي الثاني هو مستوي الأعضاء.كل عضو هو شخص، وكل شخص له اتحاده الأقنومي الخاص به، بين إنسانيته الجديدة – عديمة الفساد – وحضور الكلمة المنطوق فيه – تمايزا عضويا، ومن المستحيل وجود اتحاد أقنومي بين الأعضاء وشخص المسيح، رأس الكيان، وذلك لسببين رئيسيين: الأول هو أن الاتحاد الأقنومي – لأي شخص –انما هو – دائما – اتحاد "كل" بكل، وليس اتحاد جزء بكل، ولأن العضو، بالنسبة للجسد الكامل، هو جزء من كل، فلا مجال لاتحاد أقنومي من هذا المنظور. أما السبب الثاني فهو أن الاتحاد الأقنومي، إنما هو دائما اتحاد بين عنصرين متكافئين، ونظرا لأن العضو لا يكافئ الرأس – إذ يستمد العضو وجوده من رأس كيانه، المسيح الرب – فلا مجال لاتحاد أقنومي، من هذا المنظور، أيضاً.

٨– طبيعة علاقة مفهوم الزمن بلحظة التجسد:

كانت لحظة التجسد هي آخر لحظة – في عمر وتاريخ الكون – من الممكن أن يطلق عليها مفهوم " المستقبل ". عندما صار الكلمة إنسانا، صائرا في اتحاد أقنومي مع ما هو زمني، صلب الزمن في المسيح؛ إذ صار الزمن لحظة آنية واحدة، صار الزمن حاضرا أبديا وصار ما تبقي من عمر الكون – الذي نعتبره نحن مستقبل، بحكم نقصنا – مجرد خادم للحاضر الأبدي، الذي للحظة التجسد، يأتي بكل أبناء الكنيسة المبعثرين لينضموا إلى رأسهم، الكائن في " الآن الأبدي ".لم يعد المستقبل قاطرة تجر التاريخ خلفها. فقد المستقبل سطوته و أصبح الحاضر – في المسيح – هو مصب

الزمن، ماضيا ومستقبلا، وأصبحت لحظة التجسد هي الزمن الحقيقي الذي ينهار عنده أي مفهوم للزمن العتيق الذي نعرفه. "تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأمـــوات صوت ابن الله، والسامعون يحيون "(يو٥ :٢٥.(

لأننا زمنيون، بطبيعتنا، فنحن لا نستطيع أن ندرك الأحـــداث إلاَّ في ســـياق التسلسل والتتابع الزمني، ولا يمكننا أن ندرك حقيقة أن كيان الرب قائم، ومنتصر على الموت ، قبل حدوث الصلب والموت والدفن في القبر، المغلق بإحكام. ولكن مفهـــوم الزمن والتاريخ لا يجب أن يعثرنا، فنتخيل أن كيان الرب الممجد، عـــديم الفســـاد – بفضل كونه جسد الكلمة– قد نشأ بطريقة مفاجئة، في القبر المغلق.

إننا يجب أن نتحرر من جهالة مرثا، التي كانت تظن أن القيامة هي حـــدث نهاية التاريخ. وحتى أن اعتقدنا أن القيامة هي حدث نهاية تاريخ يسوع – على الأرض – فإننا نعيد إنتاج نفس جهالة مرثا. القيامة هي شخص، وهذا هو ما قد أعلنه الرب لمرثا، قائلا :"أنا هو القيامة."

الكلمة، بتجسده قد أنشأ الزمن الأبدي في جسده الخاص، هكـــذا صـــارت القيامة.وهو قد صنع هذا منذ أن صار ذلك الجسد، جسداً خاصاً له، أي منذ أن صار هناك، تجسد.

إن ما حدث في فجر الأحد، بعد ثلاثة أيام من موته، ما هو إلاَّ إعلان للتاريخ عن حقيقة ما هو كائن بالفعل، في رحم العذراء، في يوم البشارة. القيامة هي بدايـــة التاريخ الأبدي وليست نهاية التاريخ الزمني، والكلمة بتجسده قد لـــبس تاريخيتنـــا وزمنيتنا، حتى إذا ما اشتركنا فيه، لبسنا آنيته وحاضره الأبدي.